قلوب عبير

مارغريت بارغيتر

هذيانٌ

www.elromancia.com

مرمورية

٢٢٤٩٧٤
د. عائق

قلوب عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. K15

هذيان

لم تقم بأية محاولة للدفاع عن نفسها، فمضى الى القول باللهجة الحادة ذاتها:

- انا أدرك يا صغيرتي، انك وحيدة في هذا العالم... وتصوّر انك كنت تتوقعين يوماً مليئا بالهدايا والكلمات الحلوة الفارغة. تأكدي ايتها الجميلة الحمقاء، انني تخليت عن هذه الامور كلها منذ فترة طويلة.

انهمرت الدموع الحارة من عينيها الحزينتين، وقالت له بصوت ضعيف مرتجف:

- آسفة! كنت استحق ذلك. فأنا حقا حمقاء وغبية و...

بدا انه تأثر فجأة من جراء ضعفها وتألمها. فضمها الى صدره ليخفف عنها وكأنها ابنه الصغير. ولكن ارتعاش شفتيها الرمزيتين وغرق عينيها في الدموع، كانا بالتأكيد ابعد من توقعاته. احنى رأسه فجأة وجذبها بقوة كأنه يأخذها بذراعيه الى الأبد. وتردد داخل رأسها في تلك اللحظة، صدى كلماته التي قالها في مناسبة سابقة، حين جلس بقربها على السرير...

١ـ قرّرت ثيا الهرب بعد ان اكتشفت ان جيري وباميلا اظهرا لها صداقتهما من أجل مالها. وفي ليلة عاصفة، دخلت منزلاً قديماً في وسط البراري الاسكتلندية... ووجدت رجلاً وحيداً وقع في الغيبوبة من شدة المرض.

www.elromancia.com
روايـــة

وقفت ثيا اندروز بعد ظهر احد ايام الخريف الماطرة، تحدق بلافتة قديمة كتبت عليها كلمتان: «سرير وفطور». لم تجذب انتباهها هذه اللافتة المهترئة، بالقدر الذي فعله اعلان كتب على لوحة خشبية اخرى معلقة تحتها:

«مطلوب مدبرة منزل. لا ندفع اجراً، ولكن الشخص المناسب يحظى باقامة جيدة».

هزت ثيا رأسها تعجباً واستغراباً، فمثل هذا الاعلان يوجه الى القطط والكلاب وليس الى الناس! من المؤكد ان كاتب الاعلان مفرط بالتفاؤل، والا فكيف يتوقع قبول اي انسان بمثل هذه الشروط اللاانسانية؟ على اي

حال، ما شأنها هي بموضوع كهذا! فكل ما يهمها الان ايجاد غرفة لبضع ليال، تقرر خلالها خطواتها المقبلة. ولكن انظارها ظلت شاخصة الى ذلك الاعلان المستهجن، وهي تقول لنفسها ان مشكلتها الحالية تحتم عليها التفكير جدياً بمحاولة توفير ما يمكنها من المبلغ الضئيل الذي تحمله معها.

مدبرة منزل؟ لم تتحرك ثيا من مكانها، على الرغم من عدم توقف المطر، بل ظلت تحدق بتلك اللوحة الخشبية لبعض الوقت وهي شاردة الذهن... لا تعرف الاستقرار على رأي معين. هل يقبل بفتاة مثلها في وظيفة كهذه وهي لم تبلغ بعد الحادية والعشرين من عمرها؟ لا، فمن المؤكد انهم يريدون شخصاً اكبر سناً واكثر خبرة. ولكنها ليست جاهلة تماماً في حقل التدبير المنزلي، كما انها لا تهاب العمل الشاق. يبقى سؤال بالغ الاهمية، لا تعرف كيف تجيب عليه. ما هي طبيعة الحياة هنا في هذه المرتفعات الغربية، في قلب البراري الاسكتلندية الشاسعة؟

تنهدت بقلق وانزعاج بالغين، وهي تنزل عن ظهرها الكيس الجلدي الذي يضم امتعتها. يا لها من ليلة ليلاء! فالعاصفة قوية وعنيفة، والمطر منهمر بغزارة، والسماء ملبدة بالغيوم السوداء! تأملت نفسها لحظة، فلاحظت انها ليست اقل تعاسة وبؤساً من الجو المخيم على هذه المنطقة في الوقت الحاضر.

لم يعد يهمها ما اذا كانت ستذهب الى ذلك الفندق كأي من النزلاء المحتملين، او انها ستعمل كمدبرة منزل مقابل النوم والطعام فقط. ما تريده الآن اكثر من اي شيء آخر، هو ايجاد مأوى لها خلال هذه الليلة العاصفة الباردة. نظرت مرة أخرى نحو اللافتة والاعلان الموجود تحتها، فشاهدت قربهما لوحة معدنية حفر عليها اسم درومليريج وتحته سهم يشير الى طريق داخلية ضيقة. هذا هو بالتأكيد المكان الذي حضرت خصيصاً لايجاده، ففيه ولدت وعاشت حتى سن الخامسة. الم تقل لها امها انها اذا احتاجت الى المساعدة، فعائلة موراي لن تردها ابداً خائبة.

بدأت ثيا بالسير نحو درومليريج، وهي تحاول الحد من ارتعاش شفتيها وجسمها. شعرت بالخجل الشديد من جراء هذا الضعف الواضح، فاقنعت نفسها بان الشفقة الذاتية لن تؤدي بها الى اية نتيجة مرجوة

ومرتقبة. اللعنة على الظروف السيئة، التي اضطرتها الى السعي وراء المساعدة على هذا النحو المشين! لم تكن لتفكر يوماً في حياتها بالاستعانة باحد! لو انها استخدمت عقلها وتعلمت من احداث عديدة كانت بمثابة انذارات متلاحقة لها، لكانت لا تزال الآن في شقتها المريحة في لندن... عوضاً عن ضياعها في مثل هذه المنطقة النائية، وفي جو رهيب كهذا.

كم كانت غبية وجاهلة، عندما لم تصدق ان العالم يعج بالطفيليين الذين لا يترددون اطلاقاً في استغلال فتاة وحيدة ورثت لتوها مبلغاً من المال! ولكن ثمة شيئاً ايجابياً واحداً نجم عن تلك الاحداث السلبية، وهو انها فتحت عينيها على حقائق الحياة قبل تعرّضها لأي ضرر حقيقي. لقد آلمها تصرف جيري بانكس وشقيقته المزعومة، الى درجة كبيرة، ولكنها احست في وقت لاحق بشيء من الامتنان... لأنه علمها درساً قاسياً لن تنساه.

فاذا كان جيري الاخير بين الذين تظاهروا بمصادقتها لاجل مالها، الا انها تضعه بالتأكيد على رأس القائمة... من حيث النذالة والحقارة والدناءة. الم يقنعها بذكاء ومهارة انه يتحتم عليها تمضية فترة من الراحة والاستجمام في سويسرا، وانه وباميلا مستعدان لمرافقتها اكراماً لها ولاجل السهر على راحتها؟ الم يقترح عليها الذهاب الى سان موريتز، المتجع السويسري الرائع الذي لا تختاره سوى الطبقة الثرية؟ لم يذكر لها بالطبع انها هي التي ستهتم بكافة النفقات... الباهظة. اوه، كم كانت سخيفة لتقع في حبائله! هل ارادت انفاق كامل المبلغ، الذي ورثته ولم تتمكن من وضع يدها عليه لحين وفاة جدتها؟

ولكن الجزء الاكبر من أموالها لا يزال مجمداً في احد المصارف، ولن تتمكن من الحصول عليه قبل بلوغها سن الخامسة والعشرين. ومع ذلك، فهي لم تعد تريده... لان المال لم يجلب لها السعادة او يبعدها عن التعاسة والأسى. وكنتيجة مباشرة لهذا الامر، توجهت فور عودتها من سويسرا لمقابلة المستشار القانوني للعائلة والاستفسار منه عن امكانية تحويل ذلك المبلغ الى جمعيات خيرية. وعندما قررت المجيء الى اسكتلندة، احضرت معها المبلغ الزهيد الذي بقي لها بعد الرحلة المجنونة.

زلت قدمها وكادت تقع ارضاً، بمجرد تذكرها رحلة سان موريتز. نزل

الثلاثه في احد الفنادق الفخمة، الذي يعج بالفنانين والمغنين العالميين. . . وبمعاطف الفرو الباهظة الاثمان. . . وبالمجوهرات الخيالية التكاليف التي تزين اعناق النساء وايديهن وآذانهن. . فزعت ثيا في بداية الامر، ولكن جيري استخدم حنكته ومهارته فتمكن بسرعة من اعادة البسمة الى وجهها والطمأنينة الى نفسها.

تعثرت مرة اخرى بسبب الظلام والمطر، ولأنها شعرت بالخجل من جراء اقتناعها المطلق آنذاك بما كان يقوله لها جيري. ولكن الذي جرى أمام غرفة باميلا، كان أشد وقعاً واكثر ايلاماً من اي شيء آخر. فقد وجدت حقيبة صغيرة تخص باميلا، موجودة بطريق الخطأ مع امتعتها. وبالنظر لبعض التغييرات الغامضة التي حدثت في اللحظة الاخيرة بالنسبة للحجز، وادت الى اقامة جيري وباميلا في الطبقة الاولى، قررت ثيا الصعود الى غرفة باميلا لاعادة الحقيبة.

وقفت لحظة امام باب الغرفة، دونما اي سبب واضح. . . ربما للتأكد من الرقم قبل دق الباب. سمعت صوت باميلا في الداخل، فاحست بالارتياح وهمت بوضع يدها على مقبض الباب. وفجأة، اخترق صوت جيري اذنيها بوضوح تام وهو يقول:

ـ باميلا، ايتها الحبيبة! اعدك بالاّ تطول الأمور كثيراً. على اي حال، فالغبية الصغيرة سيخامرها الشك عاجلا ام آجلا. اعرف انك لا تحبين الانتظار طويلا، ولكن تذكري المبالغ الطائلة التي تنفقها علينا.

ـ ساحاول، ساحاول.

ـ عظيم. هذا ما اتوقعه منك، يا حبيبتي الغالية!

شعرت ثيا بصدمة مذهلة، فتسمرت في مكانها لا تعرف ماذا تفعل. مرت لحظات طويلة مرعبة، سمعت جيري يقول على اثرها بمرح وارتياح:

ـ اكاد احصل منها على وعد بمنحي كمية كبيرة من المال. لن تكون ثروة طائلة، ايتها الحبيبة، ولكنها ستكفينا بالتأكيد لننعم بحياة الاثرياء بضعة اسابيع رائعة. ومن يدري، فقد اتمكن من مضاعفة المبلغ اذا حالفني الحظ في القاعة الشمالية.

ـ ولكنها تعتقد انني شقيقتك، وانك بحاجة الى هذا المبلغ لدعم

الأعمال التجارية للعائلة.

احست ثيا، على الرغم من ذهولها وصدمتها، ان باميلا ليست مقتنعة تماماً بما قاله جيري. ثم سمعتها تضيف قائلة:

ـ لماذا لا تتزوجها هي، يا جيري، بدلا مني انا؟ اعتقد انها بدأت تتوقع ذلك.

ضحك جيري بطريقة لن تنساها ثيا طوال حياتها، وقال:

ـ فكرة لا بأس بها اطلاقاً، لولا انها لن تحصل على القسم الاكبر من مالها الا بعد حوالى خمس سنوات من الآن.

ثم اضاف بصوت دافىء حنون:

ـ اذا قررت يوماً الزواج من احد، فانت هي التي ساتزوجها. اليست علاقتنا جيدة جداً، وتوحي بذلك؟

ـ اليس من الممكن ايضاً انك تقيم علاقة مماثلة مع ثيا؟ على اي حال فهي لن تكون الاولى!

علق على كلامها بلهجة ساخرة، تحمل في طياتها شيئاً من الاهانة:

ـ لا تكوني سخيفة، ايتها الحبيبة، فهي بريئة ومتحفظة جداً. لم تسمح لي حتى الآن الا بتقبيلها على وجنتيها، مع اعترافي الصريح بانني حاولت مراراً الحصول على اكثر من ذلك. . . بسبب الفضول وحب الاستطلاع. وجهها جميل جداً، وجسمها رائع مع انها لم تعرف قيمته وطاقاته بعد.

اجابته باميلا ببرودة، تنم عن شيء من الاستياء:

ـ وهذا يعني انك لن تتوقف، في الوقت الحاضر، عن ممارسة الازدواجية! معها في النهار، ومعي في الليل!

ـ يا لك من شابة شاعرية، ايتها الحبيبة! نعم، يا باميلا، سافعل ذلك. واذا اردت مواصلة العيش معي ببحبوحة ورخاء على نفقتها، فالافضل لك ان تقبلي بهذا الواقع. . . على رغم مرارته. يجب ان تكوني ممتنة جداً، يا عزيزتي لانني وجدت فتاة غبية اخرى وتمكنت من خداعها بيسر وسهولة.

ـ هل تعتقد حقاً انني استحق ذلك؟

ضحك جيري، ثم قال بصوت رقيق ناعم:

ـ تعالي، ايتها الحبيبة، لاثبت لك مدى استحقاقك و. . .

اوصلها شرود ذهنها وارتباك تفكيرها، الى حافة الضياع والانهيار العصبي. قد لا تتذكر ابداً في المستقبل التفاصيل الكاملة لتصرفاتها، التي تلت سماعها ذلك الحوار المرعب. لا شك في ان الغريزة وحدها، هي التي تحكمت بردود فعلها ووجّهتها بعيداً عن تلك الغرفة المشؤومة. فهي لا تزال تجهل حتى الآن كيف تمكنت من جمع امتعتها، واجراء معاملات حسابية ومالية، وتأمين عودتها من ذلك المتنجع السويسري الى لندن! ولكنها تذكر بوضوح تام انها تركت لجيري وباميلا مبلغاً معيناً من المال، يكفيهما للاقامة هناك اسبوعين كاملين، وذلك كيلا يفكر اي منهما باللحاق بها. لم تشك لحظة واحدة في احتمال مغادرتهما الفندق، طالما ان اقامتهما مضمونة ونفقاتهما مؤمنة.

خفت الصدمة الاولى قليلا، فحان دور احتقار النفس وتأنيب الذات. كم كانت غبية وجاهلة و... وعمياء! تعذبت، تألمت، بكت، سهرت، وضعفت جسدياً ومعنوياً الى درجة لا تحتمل. وعندما ادركت انها لم تعد قادرة على وضع حد لكل ذلك، قررت القيام بخطوة جذرية بالغة الاهمية. تأكدت لها حتمية مغادرة لندن، لا لان جيري وباميلا قد يحاولان ملاحقتها مرة ثانية.. بل ايضاً لاعطاء نفسها بعض الوقت لجمع افكارها الضائعة. ارادت الهرب من ذلك المال، الذي لم يقدم لها سوى قشور السعادة... والذي كاد يحطم حياتها ومستقبلها، لو انها لم تكتشف خداع جيري في الوقت المناسب. وعندما استشارت المحامي في أمر تحويل المبلغ المجمّد في احد المصارف الى جمعيات خيرية، رجاها الا تستعجل الآن في الاقدام على اي شيء من هذا القبيل. وقال لها:

- انتظري ستة اشهر فقط. واذا بقيت مصممة على موقفك، حتى بعد مرور هذه الفترة الكافية من التفكير واعادة النظر، فانني اعدك بالقيام عندئذ بما يلزم.

ستذهب اذن الى دروملاريج! الم تنصحها امها باللجوء الى عائلة موراي، عندما تحتاج الى مساعدة حقيقية؟ الم تقل لها انها هي نفسها لجأت الى تلك العائلة الكريمة، قبل ولادة ابنتها، وعندما لم يكن لديها اي مكان آخر تلجأ اليه؟ الم تؤكد لها انها لن تعود ابداً بخفي حنين، اذا استنجدت

بالعائلة الطيبة ذاتها؟

ما هو الدافع الحقيقي، يا ترى، وراء قرارها المجيء الى دروملاريج؟ هل هو الحزن والاسى، ام تلك الرغبة الدفينة في ايجاد الاجزاء الضائعة من صورة لم تكتمل ابداً في عقلها؟ لا شك في ان قوة ما لا تعرف سرها، هي التي ارشدتها الى هذه المنطقة النائية وشبه المهجورة. هل سيتذكرونها في دروملاريج؟ اذا كانوا لا يزالون هناك، فسوف يتعرفون عليها من خلال الصورة التي تحملها... والتي التقطت لها مع لوجان موراي، الابن الأوسط للعائلة المضيفة، قبل عودتها الى لندن في سن الخامسة.

لم تعد تذكر اياً من الاشقاء الثلاثة، ولكن امها قالت لها ان الابن الاكبر جايمس كان قاسياً وغير محبوب من الجميع. مسكينة تلك الام! اكتشفت ان قلبها مريض وضعيف، وقد يتوقف عن الخفقان نهائياً في اية لحظة واي وقت. حملت ابنتها الصغيرة واخذتها الى جدّيها، كيلا تحرم الطفلة مستقبلا من الارث الذي يحق لها.

انحدرت الطريق بشكل مفاجيء، فوجدت ثيا نفسها غارقة في جدول ماء حتى خصرها. لم يكن التيار قوياً جداً لحسن الحظ، فتمكنت من الوقوف على قدميها وعدم الانجراف مع المياه المندفعة من امكنة مرتفعة. ولكن الضوء خفيف وضعيف للغاية، بحيث وجدت صعوبة في ايجاد طريقها وتفادي المناطق الاكثر عمقاً. هذه هي البراري النائية، المليئة بالتلال والوديان... والوحدة والعزلة. عجباً كيف يملأ هذا المكان الموحش قلبها بالحماسة والاثارة، عوضاً عن الخوف والرهبة والاشمئزاز!

وصلت اخيراً الى منزل كبير جداً، بدا وكأن الاشباح وحدها تقبل بالسكن فيه. كان النور منبعثاً من نافذة صغيرة واحدة، فتذكرت ثيا على الفور قصة العملاق الضخم الذي يفتح عينيه بمجرد رؤيته الضحية المقبلة نحوه. رفعت مطرقة الباب الصغيرة باصابع شبه مجمدة من شدة البرد، ودقت بها على الكرة المعدنية دون اهتمام بالصدى القوي الذي تردد في الداخل. وعندما دقت مرة اخرى وتكرر الصدى، تصورت ان ذلك المنزل الكبير خال من الناس... وحتى من الاثاث والمفروشات. حل الذعر والهلع محل الحماسة والاثارة، وبدأت تفكر بسرعة هائلة و...

احست بشيء من الارتياح والدفء، عندما فتح الباب صبي صغير والقى عليها تحية المساء المعهودة دون ان يدعوها الى الدخول. ردت عليه التحية بالمثل، فسألها بصوت هادىء:

- هل تريدين شيئاً؟

اجابته بكلمة واحدة... نعم، فيما كانت اسنانها تصطك من شدة البرد والبلل. ماذا يفعل صبي صغير لا يتجاوز السابعة او الثامنة، في منزل كهذا؟ سألها فجأة:

- هل اتيت لاجل الوظيفة؟

- اية وظيفة؟

- نحن نحاول ايجاد مدبرة منزل.

نسيت ذلك الموضوع تماماً! قالت له بتردد:

- اوه! لا، ليس هذا ما... اريده... مع انني قرأت اعلانكم قرب لافتة عن غرف للايجار.

- تلك اللافتة؟ لم يعد احد يهتم بها على الاطلاق.

- اليس من الافضل اذن ازالتها من هناك؟ انها مضللة لمن يحاولون البحث عن غرفة خالية.

- كنا ننوي ذلك.

حمل الهواء القوي كمية من مياه الامطار المنهمرة وقذفها نحو وجه الصبي، فلم يرف له جفن. تضايقت ثيا وقطبت حاجبيها، فتصرف الصبي بوحي بتشدّد صارم من جانب والديه. اوه، كم تتمنى لو ان بامكانها التحدث اليهما بما يجول في خاطرها! سألته بهدوء:

- والداك، هل هما في الداخل؟

تردد لحظة، ثم اجابها قائلا:

- ابي موجود في البيت.

- هل يمكنني اذن التحدث معه؟ حتى لو انكم توقفتم عن استقبال النزلاء، فانا مضطرة لاطلب منكم استضافتي هذه الليلة... لأنني لن اتمكن من العودة الى فورت وليام في مثل هذا الجو العاصف والوقت المتأخر.

- اذن، لا بد لك من الدخول.

تنحى جانباً، ولكن ثيا لاحظت عدم ارتياحه لتلك الدعوة. خطت بضع خطوات الى الداخل، ولكن الصبي لم يتحرك من مكانه. نظرت اليه مستفسرة، فقال لها بتحفظ:

- لست متأكداً من صحة قراري هذا، اذ لا يمكنك على اي حال مقابلة والدي... لانه مريض.

ازعجتها تلك المعلومات، فسألت الصبي الصغير بقلق صادق:

- مريض؟ اذا كان والدك مريضاً وطريح الفراش، فمن يعتني بك؟

- لست بحاجة الى احد.

- ولكن... الا يوجد معكما اي شخص آخر؟

تنهد الصبي، واجابها بلهجة تنم عن تضايقه من اسئلتها:

- مارثا العجوز... ولكنها طاعنة جداً في السن وانها غير قادرة على الاعتناء حتى بنفسها. قال ابي انه سيرسلها قريباً، ربما الى احد دور العجزة، ان لم نتمكن من ايجاد مدبرة منزل.

كيف يمكنهم ايجاد سيدة تقبل بمثل هذه الشروط التعجيزية؟ من يريد العمل دون اجر في منزل كبير كهذا، والاهتمام فوق ذلك كله بصبي صغير وسيدة شبه مقعدة ورجل مريض؟ لا شك في ان والد الصبي يؤمن بالمعجزات، وقد تتحقق له احداها خلال دقائق! فهي الآن في وضع سيء جداً، يفرض عليها القبول بأي شيء لتحصل على الطعام والمأوى!

- ما اسمك يا آنسة؟

- اوه، انا ثيا اندروز. هل انت من عائلة موراي؟

رفع وجهه الصغير نحوها بشموخ وانفة، قائلا:

- نعم. انا جايمي، وقد سميت هكذا تيمناً بجدي.

اوه! لا بد وانه ابن احد الاشقاء الثلاثة. قالت له باسمة:

- لا اريد ازعاج والدك المريض، يا جايمي. ولكني متأكدة من انه لن يمانع اذا ارشدتني الى مكان يمكنني فيه استبدال ثيابي المبللة باخرى جافة... موجودة معي هنا في هذا الكيس.

بدا الارتياح فجأة على وجه الصبي، وكأنه قرر الوثوق بها، ثم قال لها:

- سآخذك الى الطبقة الاولى.

سار امامها عبر القاعة الكبيرة نحو درج عريض يؤدي الى الجزء الاعلى من البيت، ثم توقفا معاً امام باب حمام. قال لها، وهو يهم بالعودة:

- سانتظرك تحت، في المطبخ.

احست ثيا بانه خائف الى حد ما. فسألته بحنان ظاهر:

- هل يعاني والدك من مرض شديد؟

- نعم، انه مريض جداً.

- الم يحضر طبيب لمعاينته؟

هز رأسه نفياً، فسألته وهي تحاول جاهدة السيطرة على تململها:

- لم لا، بحق السماء؟

نظر اليها وكأنه يتوقع منها معرفة الجواب، ثم قال:

- الخطوط مقطوعة.

- هل هذا يعني ان هاتفكم لا يعمل؟

- طبعاً، ولن يعمل قبل حضور العمال لتصليح الاعطال.

- من يعتني بوالدك اذن؟ مارثا؟

- كلا، فهي نائمة منذ بعض الوقت... لأن عمرها لم يعد يسمح لها بالتحرك كثيراً. انا اهتم به واساعده.

- انت؟

ندمت على لهجة الاستغراب القوية في كلمتها الوحيدة، عندما شاهدت التأثر الواضح الذي بدا عليه. ولكنها لم تتمكن من اخفاء ذهولها ودهشتها، فطفل كهذا يجب الا يقترب اطلاقاً من شخص مريض... فكيف اذا اضطر الى البقاء قربه والاعتناء به!

- بذلت اقصى جهدي، ولكن اعتقد انني لم احقق شيئاً يذكر. حاولت اعداد نوع من الحساء، ولكنني فشلت فشلا ذريعاً. حاولت مارثا القيام بالمهمة ذاتها، وقالت لي اثناء توجهها الى النوم ان الحساء الذي اعددته لا يليق حتى بالكلاب!

تأثرت كثيراً، وهي تتأمل وتسمع ذلك الصبي الذي يحاول التصرف كشاب، ثم قالت له:

- اسمع! اذا انتظرتني حتى استبدل ثيابي فسوف ارى ما يمكنني اعداده لوالدك... هذا، بالطبع، ان لم تكن امك قد عادت حتى ذلك الوقت.

- لا، فهي لن تعود.

ارتعش جسمها، لدى سماعها اللهجة التي صاغ بها كلماته القليلة. فتحت فمها لتسأله عن والدته، ولكنه استدار بسرعة ونزل الى القاعة. دخلت الى الحمام، فاستغربت وجود ماء حار في هذا المنزل القديم... والمهمل بشكل ملحوظ. خلعت ثيابها المبللة لتستحم، وهي تتساءل عما اذا كانت تستغل ضيافة لم تعرض عليها بعد. فتحت كيسها بعد قليل لترتدي ثياباً جافة، فلاحظت ان كافة ملابسها مبللة. ماذا ستفعل؟

شاهدت معطف حمام معلقاً على الباب، فقررت استعارته لحين جفاف ثيابها. ارتدت المعطف الرجالي الكبير، الذي يمكنه تغطية شخصين بمثل حجمها، وهرعت نحو المطبخ. وجدت طريقها بسهولة بالغة ومثيرة للدهشة، وكأنما كانت تتبع طيف تلك الطفلة الصغيرة التي عاشت في هذا المنزل حتى الخامسة من عمرها. وجدت الصبي جايمي نصف نائم على مقعد خشبي قديم، فوقفت بضع لحظات تتأمله بحنان وشفقة.

احست بالغضب تجاه والده، الذي قد لا يكون مصاباً باكثر من صداع او اوجاع خفيفة في المعدة. ربما ستحتاج هي نفسها عما قريب الى العناية والرعاية اكثر من ذلك الوالد الاحمق، بسبب تعرضها الى البرد والماء والتعب فترة طويلة. عطست فجأة، وكأنما تحاول اثبات نظريتها بالدليل القاطع... ففتح جايمي عينيه الخضراوين الجميلتين وافتر ثغره عن ابتسامة سرور وارتياح. قالت له بصوت ناعم، بعد ان لاحظت استغرابه لارتدائها ذلك المعطف الكبير:

- مرحباً، يا جايمي. ها قد عدت بسرعة كما وعدتك، ولكني لم اجد ثيابي الاخرى جافة حسبما توقعت... فاضطررت لاستعارة هذا المعطف بصورة موقتة.

- لا بأس، فهو لوالدي.

- تصورت ذلك.

هل تذهب لرؤية والده المريض؟ الفكرة مزعجة جداً، ولكنها ستشعر

بعذاب الضمير مدى الحياة. . . اذا ساءت حالة الرجل اثناء الليل، ولم تحاول ابداً تقديم يد المساعدة. سألته بصوت هادىء متردد:

ـ الا يستحسن ان اذهب الى غرفة والدك، لمعرفة ما اذا كان بحاجة لأية مساعدة؟

ادهشتها نظرات الهلع التي خيمت على ملامحه، ثم سمعته يقول بانفعال ظاهر:

ـ لا، لا يمكنك ذلك اطلاقاً! سيغضب كثيراً اذا سمحت لك بزيارته!

ـ ولكن. . . ولكنه لن ينتبه لوجودي، اذا كان مريضاً الى درجة كبيرة.

ـ سيعرف مهما كان الامر. لا ادري كيف، ولكنه سيعرف. . . وسيشتعل غضباً.

تأملت ثيا وجه الصبي الشاحب وملامح العناد في نظرته، فازدادت مشاعر الاستياء من والده وكادت تتحول الى كره وحقد. ولكنها حاولت التصرف بذكاء ومهارة لأجل هذا الصبي المسكين، فقالت له بسرعة:

ـ لدي خبرة في حقل التمريض، قد تكون كافية لمساعدة والدك الى حد ما.

ـ اوه. . . اوه! اذن انت. . . انت ممرضة! لماذا لم تذكري ذلك قبلاً؟

ـ لم تسنح لي الفرصة حتى الآن.

بدأ يهز رأسه بعصبية اخافتها واحزنتها، ولكنه توقف فجأة ونظر اليها بعينين دامعتين فرحاً ولهفة. . . قائلا:

ـ هل يمكنك مساعدته حقاً، يا آنسة اندروز؟ انا سعيد جداً بمجيئك، وبانني قبلت استضافتك. سيفرح والدي ايضاً، اليس كذلك؟ اعني انه سيشعر بالارتياح عندما يستيقظ ويجد ممرضة قربه.

احست بتأنيب الضمير لأنها كذبت على الصبي ولكنها كذبة بيضاء اضطرت لاستخدامها بنية حسنة لمساعدة هذا الطفل البريء ووالده. قالت له:

ـ اعتقد. . . اعتقد ذلك. ثم. . . ارجوك ان تناديني باسمي الاول، ثيا.

ـ حسناً، سأفعل ما تقولين.

شعرت انه شارد الذهن والتفكير، بسبب قلقه على والده، وتساءلت بمرارة عما اذا كان ابوه يستحق مثل هذا الحب والاخلاص. قالت له بتأثر واضح:

ـ بعد عودتي من غرفة والدك، ساعد لك العشاء وأضعك في سريرك.

رفع رأسه بشموخ وعنفوان، وقال لها بكبرياء وانفعال:

ـ شكراً، ولكنني لست بحاجة لمن يأخذني الى السرير. تفضلي معي الآن لارشدك الى غرفة والدي.

ـ الا تعتقد ان علينا اولا اعداد فنجان من الشاي او شيء آخر له، قبل ذهابنا اليه؟ لا، فقد يكون من الافضل لنا ان نسأله عما يريد ثم. . .

ـ انه في غيبوبة.

ـ في غيبوبة؟ لماذا لم تخبرني ذلك من قبل؟

ـ لم تسأليني.

ـ اوه، ماذا سنفعل الآن؟

ـ هل تستشيرينني انا؟ اولست ممرضة، وتعرفين ما الذي يتحتم القيام به؟

ممرضة! يا ليتها ممرضة! هل تعترف له بكذبها؟ كيف يمكنها ذلك، بعدما احس هذا الطفل المسكين بالراحة والطمأنينة والسرور! استجمعت قواها وشجاعتها، وقررت المضي بمهمتها فوراً. . . وقبل الانهيار تحت وطأة التعب والارهاق. تظاهرت بالهدوء وبرودة الاعصاب، وقالت له:

ـ هيا بنا، يا جايمي. سأتمكن باذن الله من معالجة الأمر، ومساعدة والدك على استعادة وعيه وصحته. كل ما في الامر، انني صعقت بعض الشيء لسماعي ما قلته لي.

صعدا الدرج مرة اخرى، ثم سارا مسافة طويلة قبل وصولهما الى الباب الاخير. البرد شديد في كافة ارجاء البيت، والانارة ضعيفة الى حد كبير. ماذا حدث لهذه العائلة، يا ترى؟ دخلا غرفة السيد موراي، فلم تجدها ثيا مختلفة عن بقية انحاء المنزل الكبير. . . غرفة واسعة، وباردة، وشبه مظلمة!

كان الرجل الطويل القامة مستلقياً شبه عار على بطنه، فلم تجرؤ على

الاقتراب منه. امسك الصبي بالمعطف الذي ترتديه وهزّه قليلا، ثم قال:

ـ هذا هو ابي.

انه يتوقع منها الاقدام على عمل ما... كممرضة! فوالده انسان كباقي الناس، وليس حيواناً يدخل الرعب الى قلبها! عليها التأكد اولا من انه فعلا في غيبوبة، قبل الاقتراب منه والتصرف معه... كممرضة. قالت بصوت مرتجف الى حد ما:

ـ اسعدت مساء، يا سيد موراي.

لم يتحرك الرجل من مكانه، ولم يجبها. اقتربت منه، ثم التفتت نحو الصبي وقالت:

ـ سأحاول مرة اخرى، يا جايمي، لعلني اوفق.

انحنت قليلا، وقالت بصوت مرتفع:

ـ سيد موراي! هل تسمعني؟

امسك الصبي بالمعطف ثانية وشده بعصبية وحدة، قائلا:

ـ لماذا لا تصدقين كلامي؟

ـ آسفة. ساساعده قدر الامكان.

كيف يمكنها الاعتراف لهذا الصبي الحزين، بانها لا تعرف من اين ستبدأ... وماذا ستفعل! ماذا سيكون رد فعل هذا الرجل المرعب، اذا استعاد وعيه فجأة ووجدها قربه... وترتدي معطف الحمام الخاص به؟ ولكن الرجل مريض جداً، وبحاجة ماسة الى المساعدة. وقد يكون عملها المرتقب، خدمة صغيرة مقابل هذه الضيافة الكريمة. ستحاول السيطرة على اعصابها، لتتذكر القليل الذي تعلمته في مجال التمريض. قالت للصبي:

ـ هذه الغرفة باردة جداً، ووالدك بحاجة الى الدفء. هل يمكننا اشعال نار، او استخدام مدفأة كهربائية؟

ـ لا توجد عندنا اي مدفأة من هذا النوع، لان تكاليفها باهظة ولا نقدر على تحملها. الا ان هناك حفرة كبيرة في ذلك الجدار، قد تكون مخصصة لهذا الغرض، ولكنه لا يسمح لي باشعال نار او الاقتراب منها.

مدت يدها نحو الغطاء لتضعه فوق الظهر العاري، فلاحظت ان العرق يتصبب منه وحرارته مرتفعة كثيراً... على الرغم من البرد القارص. يجب

استبدال وسادته المبللة، كما يتحتم عليها ان تقلبه على ظهره. ولكن، كيف يمكنها ذلك دون ان تشاهد وجهه؟ انها تريد رؤية هذا الوجه، دون ان تدري السبب الحقيقي لذلك.

انقلب السيد موراي فجأة على ظهره، وهو يتمتم بكلمات مبهمة... فاطلق جايمي صرخة خوف وحبست ثيا انفاسها. يا لهذه الجاذبية! فعلى الرغم من الاعياء والارهاق الشديدين في ملامحه، وجدت ثيا نفسها تحدق بتلك الوسامة الساحرة وذلك الجمال الاخاذ. انه في الخامسة او السادسة والثلاثين من عمره... اوه! ماذا حدث لجسمها، ولماذا هذا الارتعاش الغريب كله؟ افاقها جايمي من ذهولها واحلام اليقظة، بقوله:

ـ سوف يشعر بالتحسن قريباً، اليس كذلك؟

ـ باذن الله، يا جايمي. ولكن الغرفة باردة جداً، ويجب اشعال النار فيها باسرع وقت ممكن.

كانت خائفة جداً، عندما اشعلت النار. فماذا سيحدث، فيما لو عبق الدخان في الغرفة؟ الن تضره بدلا من ان تنفعه؟ اعتمدت على العناية الالهية، فقامت بمهمتها على احسن ما يرام. ثم توجهت الى المطبخ، واعدت مما هو متوفر وجبة متواضعة للصبي... الذي التهم الطعام بسرعة مذهلة بسبب الجوع الشديد.

تذكرت بعد ذهاب جايمي الى النوم، انها لم تسأله عن مكان نومها هي. لا بأس، فسوف تنام في المطبخ الدافىء... مع انها لن تكون مرتاحة فيه كثيراً. اعدت لنفسها فنجاناً من الشاي، وبدأت تشربه بهدوء وتمهل. ستغادر هذا المنزل في الصباح. اوه، كم كانت غبية الى درجة لا تصدق، عندما اتت الى هذا البيت!

٢- شدّها نحوه تحت تأثير هذيانه أثناء الغيبوبة، وردّد كلمات أثارت تساؤلاتها حول مشاعره الغامضة... وحين بدأ لوجان يستعيد صحته ووعيه، قررت ملازمته، والعمل كمدبرة منزل دون أجر!

غسلت ثيا الصحنين اللذين استخدمتهما لاطعام جايمي، وفنجان الشاي الذي شربت منه، وقررت الصعود الى غرفة السيد موراي للاطمئنان عليه. كيف سيمكنها ان تساعد هذا الرجل المريض، الذي يحتاج الى عناية طبية جدية؟ ستبقي النار مشتعلة، وستعدّ له ابريقاً من عصير الليمون بالماء الحار. هذا هو العلاج المفضل، الذي كانت تستخدمه جدتها كلما تعرضت للسعال او البرد او النزلة الصدرية.

ولكن السيد موراي قد يفضل الحساء على العصير، او ربما لن يقبل أي شيء على الاطلاق. اين يحتفظ هذا الرجل بمثل هذه الأطعمة الأساسية الضرورية؟ هل يتبع اسلوب التقنين في المأكولات؟ تباً لحظها! أليس

بالامكان ايجاد مكان أفضل من هنا، لمداواة اوجاعها وتضميد جراحها؟ ستغادر فجراً...

حملت ابريق العصير وتوجهت الى غرفة السيد موراي، عبر قاعات وممرات أشبه بالثلاجات الضخمة. وجدت الرجل المريض مستلقياً على سريره، بالطريقة ذاتها التي تركته فيها، فيما كان الدفء يعم الغرفة. سرت ثيا كثيراً بهذا الانجاز الكبير، وقررت جلب المزيد من الأخشاب المخصصة اصلا لهذا الغرض... على الرغم من طول المسافة بين المطبخ وهذه الغرفة.

اقتربت منه بحذر، ووضعت يدها على جبينه. لا تزال حرارته مرتفعة جداً على ما يبدو، بالرغم من التحسن الجلي في طريقة تنفسه. وضعت قصعة الماء التي احضرتها معها من المطبخ، وبدأت تغسل وجهه وذراعيه بهدوء وروية... كما فعلت في المرة السابقة. لم تجد صعوبة تذكر في هذه المهمة البسيطة، لأنها ضبطت مشاعرها بحزم وفرضت على نفسها التصرف بوعي ومنطق. فالرجل مريض وبحاجة الى المساعدة، وهي... لسوء الحظ... الشخص الوحيد القادر على مد يد العون له.

لاحظت ان الماء البارد يساعده ويريحه، ولكنها تضايقت من استمراره في ابعاد الغطاء عن جسمه. لن يساعده هذا الأمر اطلاقاً، كما انها ليست قادرة على البقاء قربه طوال الوقت لتغطيته كلما أوقع الغطاء على الأرض. ماذا...

فتح الرجل عينيه فجأة وحدق بها، فشهقت وابتعدت عنه خائفة مذعورة. ولكنها أدركت فوراً انه لا يراها مع انه ينظر نحوها بهاتين العينين الخضراوين الرائعتين. اغمض عينيه ثانية، فعاد تنفسها الى وضعه الطبيعي السابق وبدأت تتأمل الرجل المستلقي امامها بدقة وعناية. وجه وسيم قاس، عينان خضراوان جميلتان، شعر اسود، كتفان عريضتان، وقامة طويلة متناسقة!

تضايقت من نفسها الى درجة كبيرة، لأنها تأثرت الى حد ما بهذه الجاذبية الساحرة. ألم يحن الوقت بعد لكي تصبح أكثر وعياً وادراكاً؟ فمع ان هذا الرجل قد لا يكون شريراً مثل جيري، الا انه بالتأكيد... متزوج. ألم

تقسم بعد حادثة جيري بانها لن تسمح أبداً بعد الآن لأي رجل بالسيطرة عليها؟ ومع ذلك، فها هو جسمها يرتعش الآن... لمجرد ان رجلا غريباً تماماً نظر اليها... وهو في غيبوبة! ستتركه الآن لكي تحضر كمية جديدة من الأخشاب، ولكي تتجنب النظر الى وسامته وجاذبيته.

بدأ جسمه يرتجف بشكل عنيف، فنسيت مشاكلها وركزت اهتمامها كله على هذا الرجل المريض. برد الجسم فجأة بعدما كانت حرارته الخارجية مرتفعة جدة، فقررت ثيا على الفور ايجاد قميص او سترة او اي شيء آخر لتغطية نصفه الأعلى. لم تعجبها ابداً فكرة فتح الخزانة الكبيرة او الادراج العديدة، وشعرت بانها تتمادى في تطفلها... ولكن الرجل بحاجة ماسة الى شيء يرتديه!

احتارت كثيراً عندما لم تجد أية ثياب نسائية في الخزانة. أين هي زوجته؟ ثم... أين هي معظم ملابسه؟ أخذت احدى السترتين اللتين شاهدتهما في زاوية الخزانة، وبدأت تحاول رفعه قليلا لتضعها تحت ظهره. دفعها عنه فجأة... وبقوة هائلة، بحيث وقعت في الجانب الآخر من الغرفة وارتطم رأسها بطاولة صغيرة. ظلت مرتمية على الأرض بضع ثوان أحست خلالها بأنها كادت تفقد وعيها.

بذلت جهوداً مضنية لتتمكن من الوقوف على قدميها، ثم أمسكت برأسها وتحسست عنقها لتتأكد من عدم وجود كسور في العظام. سارت بشيء من الصعوبة نحو السرير، وهي تحاول اقناع نفسها بالتحلي بالصبر والشجاعة. ستقول له رأيها به، دون أي خجل او تردد! ولكنه... لم يستعد وعيه بعد، ومن المؤكد انه لم يقذفها عمداً بتلك الطريقة الوحشية العنيفة.

ابتعدت عنه وجلست على سجادة قديمة قرب النار، لاستعادة نشاطها وحيويتها. انهمرت الدموع من عينيها... فماذا تفعل فتاة مثلها مع رجل كهذا! لو كانت ممرضة حقيقية، لما كان الوضع سيئاً ومزعجاً الى هذه الدرجة! ولكنها ليست ممرضة، بل فتاة محطمة القلب أتت من لندن هرباً من مشكلة اعتبرتها في حينه صعبة لا تحتمل... بينما هي الآن على شفير هاوية أشد خطورة من سابقاتها.

احضرت بعض الأخشاب من المطبخ وأطعمت النار قسماً منها، لابقاء جو الغرفة دافئاً بشكل كاف، ثم جلست لترتاح قليلاً. نامت فترة قصيرة، ثم أفاقت على تمتمته وهذيانه... وتقلبه في فراشه بحدة وعصبية. خافت ان يسقط من السرير، فهبت نحوه وهي تناشده قائلة:

ـ سيد موراي، يجب ألا تتحرك على هذا النحو! ستضايق نفسك وتزيد من سوء وضعك الصحي.

امسكت بكتفيه بحركة لاشعورية لتحد من انتفاض جسمه، فلاحظت ان الرجل لا يزال مريضاً جداً. رفع ذراعيه بصورة مفاجئة وضمها اليه... فوقعت فوقه. حبست الصدمة انفاسها وسمعت نفسها تصرخ به قائلة:

ـ اتركني، اتركني! ارجوك، يا سيد موراي!

أدركت على الفور عقم أية محاولة للتخلص من قبضته الفولاذية، لانه لم يكن يعرف ماذا يفعل. كان يهذي ويقول أشياء لم تفهمها، فخافت منه... ومن تلك الأحاسيس الغريبة المجنونة التي اجتاحت كافة انحاء جسمها النحيل. دفعها الذعر الشديد الى ضربه على صدره بعنف بالغ، ولكن ذراعيه القويتين أطبقتا عليها بقوة ومنعتاها من الاستمرار في محاولاتها. ماذا ستفعل، وكيف ستتخلص منه؟

سيحضر جايمي، اذا صرخت طالبة النجدة. ولكنها ترددت في القيام بذلك، لأن الصبي يحب والده حباً جماً وعظيماً ويتطلع اليه كرمز... ومثل أعلى. لا... فعليها التخلص من هذه الورطة التي أوقعت نفسها بها، دون ازعاج الصبي البريء، وادخال الرعب والشك الى قلبه وعقله! كان يجدر بها ان تتوقع اموراً كهذه، وان تعمل على تفاديها وتجنبها.

استعدت للقيام بمحاولة اخرى للتخلص من هذا الرجل القوي، فسمعته يتمتم بكلمات مفهومة... ولأول مرة منذ وصولها. قال:

ـ كاي، لا أصدق انك عدت أخيراً.

وصل بها الرعب الى درجة منحتها قوة اضافية، فضربته مرة أخرى على صدره للتحرر من قبضته التي تكاد تخنقها وتحطم ضلوعها... وهي تصرخ قائلة:

- انت مجنون! انت تهذي ولا تعرف ماذا تقول! أنا لست كاي، يا سيد موراي!

ضحك بشكل هستيري عنيف، وقال:

- كاي، يا زوجتي الحلوة الحقيرة التافهة!

أدركت ثيا على الفور، ان احتجاجها لم يؤد الا الى اعادة بعض الذكريات الأليمة والمريرة الى نفسه. لا شك في ان كاي هذه، هي زوجته... وانهما منفصلان عن بعضهما او انهما على الأقل يواجهان مشاكل زوجية حادة. ومن المؤكد ايضا، انه لن يتردد في استخدام العنف معها و...

انقلب الرجل فجأة ودون انذار على جانبه، وبدأ يقبلها بعنف ونهم. أذهلتها الصدمة... وتلك المشاعر الخفية الغامضة التي لم تكن تدرك حقيقتها. احست بأنه على وشك التهام شفتيها، او سحقهما بين شفتيه وتحت وطأة فمه، فتحركت مجدداً لانقاذ نفسها. ولكن تحركها ألهب مشاعره فشدّها نحوه... وشلّ ما تبقى لديها من قوة وقدرة على الحركة.

حاولت ان تضع حداً لسلوكه الغريب. وشعرت فجأة ان قوتها على التخلص منه كانت تعترضها قوة ساعديه اللتين تعلقتا بها كأنهما يلتقيانها بعد فراق طويل.

أظهرت اهتماماً مصطنعاً لتحدّ من تصرفه الذي كانت تمليه تخيلاته الغريبة. واستطاعت ان تنسلّ ببطء من بين ذراعيه بعد ان اطمأن الى انها تبادله ذلك الشعور الغامض.

فتح عينيه بعد لحظات استردت خلالها أنفاسها وهي تقف مذهولة قرب السرير. رأت رأسه يتحرك بقوة ويده تفرك عينيه بعصبية، وكأنه يحاول طرد أشباح الظلام التي تغطيهما وتحرمه من الرؤية الواضحة. ثم قال مخاطباً ذلك الشخص الذي تراءى له:

- لقد تغيرت كثيراً يا كاي وتتصرفين معي كأنك تريدينني.

لم تقل له شيئاً لأن الذي حدث قبل قليل أضعفها... ابتعدت قليلا عن السرير. وفتح الرجل عينيه ثانية ونظر نحوها، ولكنها كانت متأكدة انه لا يراها. تمنت ان لا يتذكر شيئاً مما حدث عندما يستعيد وعيه وصحته.

ربطت المعطف مجدداً حول جسمها وشعرت بالانقباض لاضطرارها للذهاب الى المطبخ لكي تشرب. ولدى عودتها نحو غرفته، توقفت لحظات امام بابها بسبب خوفها من الدخول ثانية الى العرين. ولم تصدق بعد دخولها المتردد، وبعد كل الذي جرى بينهما، انها ستمضي بقية الليل في هذه الحجرة... للاعتناء بهذا الرجل المريض وابقاء النار مشتعلة.

لم تفهم السبب الذي حملها على البقاء معه، عوضاً عن تمضية الليلة في المطبخ البعيد. غسلت وجهه وذراعيه مراراً، وسقته جرعات متتالية من عصير الليمون، ولكنها دأبت طوال الوقت على اتخاذ جانب الحيطة والحذر. اربكها هذا الشعور الجديد المفاجيء بالتورط الشخصي في مسائل وقضايا لا علاقة لها بها، الا انها لن تلوم سوى نفسها اذا تكرر ما حدث لها.

لماذا تركته زوجته؟ لم يعد الاهمال المذهل لهذا البيت، او انعدام وجود أية ملابس نسائية، امراً غامضاً ومثيراً للدهشة والاستغراب. هل انفصلا عن بعضهما بصورة نهائية، ام ان زوجته تعبت من الحياة مع رجل بخيل مقتر مثله؟ لا شك انه من اولئك الرجال، الذين لا يتزوجون الا النساء الجميلات المتألقات. ولكن ابنة هذه العائلات الميسورة والعريقة، او ربيبة العز والجاه والبحبوحة، كثيراً ما تعتبر الرفاهية المطلقة جزءاً لا يتجزأ من حياتها اليومية... وواجباً اساسياً قد لا يقبل به الرجل الى هذه الدرجة.

لماذا هذا الاهتمام المتزايد به وبابنه؟ قد تقبل تعاطفها القوي مع جايمي، الا انها لن تقبل بشعور مماثل تجاه والده. كيف يمكنها ذلك، بعد تلك الطريقة المذهلة في مغازلته لها... أثناء هذيانه! ارتعش جسمها خوفاً وهي تفكر بما كان سيحدث بينهما فيما لو لم تخنه قوته وتحرمه من تحقيق مآربه حتى النهاية! اوه، يبدو ان الحمى بدأت تزول عنه تدريجاً!

فتحت عينيها في السادسة والربع صباحاً وهي متعبة من نومها على الكرسي كقطة صغيرة... ولأنها لم تنم الا ساعات قليلة فقط. نظرت نحوه، فرأته يحدق بها... وقد اختفت من وجهه وعينيه آثار الحرارة المرتفعة. سألها باستغراب:

- من أنت؟ ربما لا أزال في غيبوبتي أهذي، وأرى أشياء غير

موجودة. هل أنت حقاً أمامي، وفي غرفتي بالذات؟

يا لسعادتها! فهو لم يعرفها ولا يتذكر شيئاً عما حدث بينهما... بما في ذلك عنايتها به. حاولت تأمله ببرودة، وهي تدرك انها لن تقدر ابداً على منافسة رجل كهذا في أي مضمار. فمهما حاولت ان تفعل او حتى ان تفكر، فسوف يسبقها دائماً. لا! عليها ان تسيطر على اعصابها وأفكارها، كيلا تقول شيئاً قد تندم عليه طوال حياتها. أغمضت عينيها في وجه نظراته الثاقبة، المنبعثة من عينيه الخضراوين الساحرتين، فقال لها بصوت ضعيف:

- اذا كنت شبحاً او طيفاً، فسوف افهم صمتك وامتناعك عن الكلام.

فتحت عينيها ونظرت اليه بتحد، قائلة:

- كيف تعرف انني لست هذا الشيء او ذاك، يا سيد موراي؟ اليس ممكناً انك لا تزال تحت وطأة الغيبوبة والهذيان، وان عقلك وبصرك يخدعانك؟

ادهشته كلماتها كثيراً، فسألها بتردد وكأنه يعرف ماذا حدث له:

- هل اغمي علي منذ وقت طويل؟

- لا اعرف، فانا لم اصل الا مساء امس. كنت مريضاً جداً آنذاك، ولكني لا ادري متى بدأت الغيبوبة. لم يقل لي جايمي شيئاً عنها.

- جايمي؟ هل هو بخير؟

- اظن ذلك.

- اجيبيني بربك، يا فتاة!

رفعت رأسها بشموخ، وقالت:

- لا يحق لك ابداً، يا سيد موراي، التحدث معي بهذه اللهجة!

- آه منكن يا معشر النساء! لماذا يندر ان تعطي احداكن جواباً صريحاً على سؤال واضح؟

- بالنسبة لي، فابنك موجود في فراشه.

استشاط الرجل غضباً، وقال:

- لو كنت قادراً على مغادرة هذا السرير، لامسكت بكتفيك وهززتك... ايتها السيدة، او ربما وضعتك على ركبتي وعاقبتك

كالصغار. واعتقد ان الاحتمال الثاني يناسب سنك، اكثر من الأول.

هل كان اللعين يعرف عمرها، عندما قبّلها عنوة اثناء الليل؟ هل كان يتصور رد فعلها صدر عن... طفلة؟ لا، لا يمكن. احمرت وجنتاها فجأة، بمجرد تذكرها بعض التفاصيل؛ وقالت له:

- انت لا تدرك...

قاطعها بحدة وخشونة، قائلا:

- ما ادركه، يا صبية، يكفي ويزيد. افقت من غيبوبتي، فوجدت في غرفتي شابة غريبة تماماً عني تنام قرب النار... التي من المؤكد انني لم اشعلها بنفسي، كما اني لم اجد اي اثر لابني. الا تعتقدين انه يحق لي، منطقياً الاستفسار والاستيضاح عما يجري في بيتي؟ اذا اجبتني نفياً، فسوف اتأكد انني فقدت عقلي ورشدي.

- لقد فقدت عقلك لبعض الوقت.

احست بالندم قليلا، لأنها سمحت لنفسها بالتمتع الى حد ما بايلامه. ولكن العبوس حل محل نظرات الانتصار والتفوق الموقتين، عندما رأته يتحرك بفارغ الصبر في سريره. لن تربح مع رجل مثله اي معركة، لا بل انها لن تتمكن ابداً من مواجهة امثاله. فقد بدا لها، حتى وهو طريح الفراش، متفوقاً عليها عزماً وارادة وقوة شخصية. الا ان ذلك لم يمنعها من تكرار جملتها القاسية:

- نعم، لقد فقدت عقلك!

- انك تجدين متعة في ازعاجي وايلامي، الا ان الأمر قد يتحول، خلال فترة اقصر مما تتصورين.

- لا داعي ابداً للسخرية او التهديد، يا سيد موراي. دعني اخبرك الآن انه لولا وجودي هنا، لكنت بحاجة الى ثلاثة اضعاف هذه الفترة كي تستعيد وعيك وعافيتك.

- ومادح نفسه...

ثم نظر اليها، واضاف قائلا:

- حتى ملائكة الرحمة انفسهم يحبون الاطراء والمديح!

- اليس ذلك افضل من الاستسلام والموت، كما كان حاصلا معك لولم

اصل في الوقت المناسب؟ لقد كنت حقاً بحاجة الي، يا سيد موراي.

- هل هذا هو رأيك فعلاً؟ لا، يا عزيزتي، فقد تعرضت لهجمات اخرى من الملاريا وخرجت منها سالماً معافى... دون اية مساعدة من احد مثلك.

ماذا يقول لو انها اعترفت له بما جرى اثناء الليل؟ احمر خداها خجلا وأبعدت وجهها عنه، فقال لها:

- هل كان ردي قريباً من الحقيقة الى هذه الدرجة؟ ستخبرينني بعد قليل... اوربما بعد ايام... عما كنت تخططين له. بالمناسبة، ما اسمك.

لا، هذا كثير جداً! قد تتحمل التحقير والاذلال، اذا كانت تستحقهما عدلا وانصافاً... اما نكران الجميل بهذه الطريقة الوقحة، فهو امر لا يمكن القبول به بتاتاً! اقتربت من السرير بحدة وعصبية، وقد نسيت انها لا تلف جسمها الا بمعطفه الكبير وقالت له ببرودة مصطنعة:

- آندروز، ثيا اندروز. لم اتوقع اي امتنان من جانبك، يا سيد موراي! حتى بالنسبة لتمضية الاثنتي عشرة ساعة الماضية نزولا وصعوداً، لاحضار المزيد من الاخشاب بهدف الابقاء على النار التي اشعلتها لتدفئة غرفتك الباردة... او لغسل وجهك وذراعيك باستمرار للتخفيف من الحرارة المرتفعة... او لتغطيتك بشكل متواصل... او لاعداد عصير الليمون ومساعدتك على شربه جرعة جرعة! لا، لم اتوقع اي امتنان او تقدير... ولكنني بالتأكيد لا استحق التعرض للاهانة والتحقير!

تأملها بدقة وعناية من قمة رأسها حتى اخمص قدميها، وبدا ان هجومها الطويل لم يخلف عنده اي انطباع يذكر. فقد قال لها، بهدوء مزعج:

- تحب النساء الاعتناء بالرجل عندما يكون مريضاً وعاجزاً، ولكنهن يهربن بعيداً بمجرد استعادته صحته وعافيته. اتصور انك لا تختلفين كثيراً عن البقية، فقرري اذن كم تريدين اجراً لخدماتك... التي تعتبرينها قيمة جداً... كي نتفق على الاجر المطلوب.

ادارت ثيا وجهها عنه، لأنها لم تعد قادرة على تحمل نظرات الاغراء والتملك التي تشع من عينيه... والتي جعلتها تشعر وكأنه يطوقها بين ذراعيه ويضمها الى صدره. طردت هذه الافكار بسرعة من رأسها، وقالت

له بحدة وانفعال بالغين:

- وصلني حقي منك ووقيتني دينك لي تورما في رأسي بالاضافة الى امور اخرى... عندما قذفتني الى وسط الغرفة.

قطب الرجل حاجبيه، وسألها باهتمام جدي:

- وماذا جعلني افعل ذلك؟

هل يحاول القاء اللوم عليها؟ لن تذكر له شيئاً عن السترة، كيلا تفتح باباً هي بغنى تام عنه. قالت له:

- كنت احاول وضع الغطاء عليك.

- لماذا؟ لانك لم تتحملي النظر الي وانا شبه عار؟

مارست ضبط النفس الى اقصى درجة، وتظاهرت باللامبالاة تجاه هذه السخرية اللاذعة... الناجة بالتأكيد عن الكبت والحرمان. كيف يشعر رجل مثله، اذا اقعده المرض عن العمل والحركة؟ عاد يسألها بتحد واضح:

- الم يكن كلامي صحيحاً؟

- هذه غرفة نوم، يا سيد موراي، وليست شاطئاً.

- ولكنها مكانان لا يحتاج فيهما الانسان دائماً الى الملابس، مع انني اتصورك من النوع الذي قد يسبح او ينام بكامل ثيابه. اوه...!

هوى رأسه فجأة على الوسادة، فيما صرخ متألماً:

- يا لهذا الصداع اللعين!

ذعرت ثيا ووضعت يدها على ذراعه، قائلة بصوت حزين مشوب بالقلق:

- اهدأ قليلا، ارجوك! لن يؤدي توجيه المزيد من هذه الاسئلة السخيفة، الا الى عودة الحمى اليك.

حدق بها بعينين غاضبتين، تنمان عن استياء شديد، وقال:

- الا يمكنك استيعاب بعض الامور الجادة؟ انا لا اوجه اسئلة سخيفة، ولكني اريد معرفة سبب وجودك هنا... في بيتي، في غرفتي، ترتدين معطفي، وكأن احداً منحك... او انت منحت نفسك حرية التصرف بهذا البيت وسكانه! لن اظل مريضاً طوال العمر، ولست مقعداً بصورة

دائمة. سأتمكن من النهوض خلال ساعات قليلة، وساصبح قادراً على طردك من هنا بسهولة تامة... ما لم احصل منك قبل ذلك على ايضاح مناسب.

- لدي بالتأكيد ما تريده، يا سيد موراي! ساخبرك كل شيء تود معرفته...

صمتت لحظة، فيما حلت في نفسها فجأة محل الاستياء والاشمئزاز رغبة قوية مفاجئة في تهدئة خواطره ومساعدته. اوه، لماذا هذا الشعور الغامض بانها تفضل رؤيته متعجرفاً متسلطاً على ان تراه مستضعفاً وبحاجة الى المساعدة. اضافت قائلة بصوت هادىء نسبياً:

- الا تريد اولا فنجاناً من الشاي او اي شيء آخر؟ لن يستغرق اعداده طويلاً، وقد تشعر بعده ببعض الارتياح.

- ربما في وقت لاحق، اما الآن فأريد سماع تفسيرك الصريح لما يحصل هنا.

قررت فوراً تجنب الحديث عن نيتها الاصلية في استئجار غرفة، او عن موضوع ولادتها في دروملاريج واقامتها في هذا المنزل مع والدتها حتى سن الخامسة. فالرجل نفسه، او بالاحرى ابنه الصغير البريء، بحاجة ماسة الى المساعدة. قالت له:

- ابحث عن وظيفة، واتيت الى هنا بعدما قرأت الاعلان الخاص بذلك في أول الطريق.

- لا يبدو هذا الكلام صحيحاً تماماً، يا آنسة. فالطريق الى بيتي بعيدة جداً عن التقاطع الرئيسي لطرق المنطقة، وليس من الممكن ابداً ان يكون وصولك الى هنا بعد حلول الظلام... وفي مثل هذا الجو العاصف... مجرد صدفة.

- سمعت اثناء مروري في القرية شخصاً ما يتحدث عن هذه الوظيفة، فسألت عن العنوان واتيت.

- من سألت؟

- لا اعرف اسمه، ولم اجد اي ضرورة في سؤاله عنه.

- وهكذا اتيت، وسمح لك جايمي بالدخول. لقد ارتكب خطأ فادحاً

و...

هبت للدفاع عن الصبي الصغير، فقاطعته قائلة:

- هذه بالتأكيد مسألة جانبية وهامشية جداً، يا سيد موراي. فهو ليس سوى طفل، وكان خائفاً ومنهك القوى... وحزيناً.

- اخطأ ايضاً في احضارك الى هنا.

- لم يكن ليفعل ذلك، لو لم اخبره بأن لدي خبرة في التمريض. الا تقدّر له قلقه عليك، واهتمامه بك؟

- وهل لديك خبرة في مجال التمريض، يا آنسة اندروز؟

- ماذا ينفع توجيه الاسئلة، ان لم تكن مستعداً لتصديق الاجوبة.

- اننا نضيع وقتنا، على اي حال. فانت صغيرة جداً في السن، للعمل كمدبرة منزل.

- لست منصفاً، يا سيد موراي، فالعمر لا يشكل اي عائق في أمور كهذه. ثم... انت بحاجة الى شخص ما. ومن المحتمل جداً الا تجد واحدة غيري تقبل بدفن نفسها في هذه المنطقة المنعزلة النائية. فالمنزل بحد ذاته... جميل، ولكنه كبير جداً ويتطلب الاعتناء به جهوداً مضنية. ولكني سأثبت لك، خلال فترة قصيرة، مدى قدرتي ومهارتي.

- كم يبلغ عمرك؟

ستكذب مرة ثانية، على الرغم من المرارة التي تشعر بها من جراء ذلك. قالت:

- دخلت التاسعة والعشرين قبل ثلاثة اشهر، ولكن منظري يوحي دائماً بانني اصغر سناً.

- لم اكن اتصور ذلك قط! انت لندنية، اليس كذلك؟

- وهل يعتبر وجودي في اسكتلندا على هذا الاساس، جريمة لا تغتفر؟

- لا، ولكن لسانك هو المجرم... لأنه حاد وسليط ولاذع.

- انا عادة انسانة مرحة وذات مزاج طيب هادىء، ولكني اؤمن بحق الانسان في التحدث بصراحة ودون وجل او تردد.

- يمكنك التحدث عما تريدين وكيفما يحلو لك... طالما انني طريح الفراش.

انه يهددها، فلا داعي للتعليق واثارة المزيد من الحساسية والانفعال. سألته بسرعة:

- هل هذا يعني انني.. انني حصلت على الوظيفة؟

- لفترة تجريبية فقط! اريد التأكد تماماً من جودة عملك وحسن تصرفك، ومعرفة اشياء كثيرة عنك... قبل التفكير جدياً باحتمال توظيفك بصورة نهائية. ربما سيتم ذلك خلال يوم او اثنين، على ابعد تقدير.

- سأبذل قصارى جهدي كيلا تجد اي سبب للتذمر، يا سيد موراي.

- سمعت ذلك مراراً من قبل.

لم تحاول تجفيف العرق المتصبب من جبينه ووجهه، كنتيجة لمحاولاته المتكررة للجلوس في سريره، وذلك مخافة تعرضها ثانية لمثل ما حدث معها خلال الليل. ولكنها تساءلت باستغراب عن عدم قيامه باي محاولة لتغطية نفسه، بعدما استعاد وعيه واصبح قادراً على التحرك ولو الى درجة معينة فقط. ابتسم بخبث وكأنه قرأ افكارها، ثم قال لها ساخراً:

- هل تسمحين باعادة معطفي، يا آنسة اندروز، طالما ان وجودي على هذا النحو يثير انفعالك ويخدش طهارتك وعفتك! انه حقاً لأمر غريب، ان تتضايق شابة لديها خبرة في حقل التمريض من مشاهدة رجل دون معظم ثيابه!

- اضطررت لاستعارة المعطف الليلة الماضية، لأن ثيابي كلها كانت مشبعة بمياه الامطار. سأذهب الآن لأرى ما اذا اصبحت جافة نسبياً، ثم احضر لك المعطف وفنجاناً من الشاي.

- لا ضرورة للعجلة.

- هل يمكنك ابلاغي الآن اين سأجد جايمي؟ ذهب الى غرفته امس بسرعة، فلم...

- اعتقد انك ستجدينه الآن في المطبخ، فالساعة تقارب السابعة. ابلغيه بانني لن اتمكن من اخذه الى المدرسة هذا الصباح.

- ماذا سيفعل اذن؟

- سيمشي.

- لا يمكن! المسافة بعيدة جداً!

- ثمة طريق قصيرة نوعاً ما عبر الحقول، يا آنسة اندروز.

- هل تسمح لي بايصاله الى المدرسة، يا سيد موراي؟ انا ماهرة في قيادة السيارات.

- هل لديك رخصة سوق؟

- طبعاً!

- تأكدي من القيادة بحذر شديد، وبخاصة لدى عبور الجسر، فمياه النهر مرتفعة... وجايمي معك.

لا يهمه ماذا يحدث لها! غضبت كثيراً وارادت التعليق على كلامه، ولكن الارهاق الشديد سيطر عليه مجدداً وارغمه على اغماض عينيه. وضعت قطع الخشب الاضافية في المستوقد، لابقاء النار مشتعلة بضع ساعات اخرى، ثم خرجت من الغرفة بهدوء.

اعدت فطوراً جيداً للصبي، على الرغم من اعتراضات مارثا، فالتهمه بسرعة وسعادة. ثم طلبت منه ان يصعد الى غرفة والده لالقاء تحية الصباح عليه، وان يحضر حقيبته المدرسية استعداداً للذهاب. واصلت مارثا، اثناء غيابه، تذمرها من التبذير في البيض والحليب والزبدة. ثم قالت بلهجة اقل حنقاً:

- كنت اتولى بنفسي حلب الابقار، ولكنني لم اعد قادرة على ذلك بسبب داء المفاصل الذي الم بي. يقوم بهذه المهمة الآن السيد لوجان نفسه، الا انه لن يتمكن من استئناف هذا العمل قبل المساء.

- هذا المساء؟ الرجل مريض جداً، ويجب الا يغادر سريره قبل يومين او ثلاثة على اقل تقدير. سأحضر له طبيباً، بعد ايصال جايمي الى مدرسته.

- لن يشكرك على ذلك ابداً، فهو يعرف ما به... انها تلك الحمى الغريبة.

- انا لا اعرف حقيقة مرضه، ولكني متأكدة من انه في وضع صحي لا يحسد عليه. لا تخافي، فانا سأحلب الابقار!

- انت؟ ومن اين تعلمت فتاة مثلك القيام بعمل هكذا؟

- في مزرعة لاصدقاء العائلة.

- اذا قبلت القيام بهذه المهمة مرة واحدة، فقد تصبح عملا دائماً بالنسبة لك. لا تقولي انني لم احذرك!

ظلت ثيا صامتة، فمضت العجوز الى القول:

- لم اكن اتصور ابداً ان السيد لوجان سيوظف فتاة مثلك كمدبرة منزل، مع انني لا اتوقع منك البقاء طويلا. لقد استخدم ست سيدات للغرض نفسه خلال السنوات القليلة الماضية.

- ماذا؟

- كنت متأكدة من انك ستشعرين بالدهشة والاستغراب، ولكني مستعدة لسرد اسمائهن امامك الآن. لم تبق اي منهن هنا، اكثر من اسبوع او اسبوعين.

- وماذا عن زوجة السيد موراي؟

- توفيت، والحمد لله. لم تكن ابداً زوجة له، وكان يعرف ذلك طوال الوقت.

- لا شك في ان جايمي يعاني من الوحدة المؤلمة، بين الحين والآخر.

- طبعاً، وكذلك الامر بالنسبة للسيد نفسه. انه بحاجة الى امرأة، ولكنني اعتقد انه لن يتزوج مرة اخرى على الاطلاق. هناك اكثر من امرأة وشابة ترغب في حمله على تغيير رأيه، وبينهن ارملة شقيقه، ولكنني اشك كثيراً في امكانية نجاح اي منهن.

٣ - تذكرت ثيا الصورة التي التقطت لهما منذ خمس عشرة سنة، والتي لم تستخدمها للتعريف عن نفسها... استدعت الطبيب لمعاينة موراي، وفوجئت باعتراضه. ولكنها واصلت اعتناءها به إلى أن قاربت الحمى أن تزول عنه تماماً.

اوصلت الصبي الى مدرسته وعادت على الطريق ذاتها، لتعرج على بيت الطبيب الذي ارشدها اليه جايمي. لم تجده في البيت، فتركت له رسالة عاجلة مع ابنته ترجوه فيها التوجه الى دروملاريج بأسرع وقت ممكن... لأن السيد موراي مريض جداً.

تأملتها ابنة الطبيب السمراء الطويلة بشيء من الاستغراب، الذي يحمل في طياته الذعر والهلع. لم توجه اليها اي سؤال على الاطلاق، واكتفت بوعدها بنقل الرسالة الهامة الى والدها بمجرد عودته.

اكتشفت ثيا ان اللاند روفر، التي تقودها الآن، شبيهة كثيراً بالراينج روفر التي كان جدها يسمح لها باستخدامها أثناء ذهابها الى الريف.

ضغطت بقوة على دواسة الوقود لتعود بسرعة، فالرجل المريض وحده وقد يكون بحاجة الى المساعدة التي لن تتمكن مارثا من تقديمها. ربما لن يعجبها لوجان موراي ابداً، وبخاصة بعد المعاملة السيئة التي لقيتها منه أثناء الليل وفي الصباح. ولكن الرجل يعاني من المرض الشديد، ومساعدته في هذه الفترة الحرجة واجب انساني.

لوجان... لوجان موراي! تذكرت ثيا فجأة الفتى الذي وقف قربها، لكي يلتقط احدهم صورة لهما... قبل حوالي خمس عشرة سنة. لماذا لم تنتبه الى ذلك قبل الآن؟ ألم تحضر معها تلك الصورة بالذات، لاستخدامها في التعريف عن نفسها اذا دعت الضرورة الى ذلك؟ ربما نسيت الاسم والصورة، كنتيجة حتمية للمعلومات المذهلة التي سمعتها والتطورات العجيبة التي حدثت معها! لا بد ان الزمن الطويل والزواج الفاشل، تركا بصماتهما القاسية عليه وجعلاه يتغير الى هذه الدرجة. كيف تحول ذلك الفتى الطيب الحنون، الى رجل مقتر قاس... وجذاب؟ هل يعقل ان يكون الزواج وحده، مهما بلغت تعاسته، سبباً كافياً لتحويل النعجة الى وحش ضار؟ هل كان الزواج فاشلاً منذ البداية، ولماذا؟ متى توفيت زوجته، وكيف؟

كانت السيارة الكبيرة منطلقة بسرعة فائقة، وكذلك الأسئلة المحيرة التي تضج في رأسها وتقلق افكارها المشوشة. تحدثت مارثا عن شقيق راحل، فماذا حدث لشقيقه الآخر؟ هل توفي والداه؟ لا، ستضع حداً لهذه التساؤلات التي لا شأن لها بها اطلاقاً. فما جرى في دروملاريج منذ ابتعادها عن هذه المنطقة، يجب الا يهمها ابداً!

أوقفت السيارة على بعد بضعة امتار من مدخل البيت، كي يتمكن الطبيب الذي قد يصل في أي وقت من ايقاف سيارته دون أية صعوبة أو اضطرار للمناورة. قفزت من السيارة وتطلعت بصورة عفوية نحو النافذة العليا، فتصورت انها شاهدت لوجان موراي واقفاً هناك... وكأنه يتأملها أو ينتظر عودتها. هزت رأسها استغراباً ودهشة ثم نظرت مرة اخرى نحو النافذة، فلم تشاهد احداً.

صعدت بسرعة نحو غرفته، وهي تشعر بقلق حقيقي. لا شك في ان

الحمى عادت اليه بقوة، وجعلته يهذي ويسير في ارجاء البيت على غير هدى. سألت نفسها لدى اقترابها من تلك الحجرة، عن سبب هذا القلق المزعج والتأثر الواضح. لم تجد الا جواباً واحداً، وهي انها لا تريد العمل كممرضة لفترة طويلة. اقتحمت الغرفة بلهفة، وهي تناديه بصوت عال:

ـ سيد موراي! سيد موراي!

فوجئت به مستلقياً بهدوء على سريره، وكأنه لم يغادره ابداً. من المؤكد انه يحاول خداعها! نظر نحوها باستياء، وقال مستفسراً:

ـ ما بك، يا آنسة اندروز؟

ـ قمت من سريرك، أليس كذلك؟

لم تنجح في مباغتته وتحويل انتباهه عن موضوع دخولها غرفته على ذلك النحو المتهور، فقد قال لها بلهجة غاضبة:

ـ لن اسمح لك ابداً بالتحدث معي بهذه الطريقة، يا فتاة. وسأكرر عليك الآن، ما قلته لك في وقت سابق، اذا كنت تريدين العمل في بيتي، فأنا الذي سيوجه الأسئلة.

لم تكن راغبة في مضايقته، ولكن انزعاجها منه حملها على الرد عليه بحدة... قائلة:

ـ نحن لا نعيش في العصور المظلمة، يا سيد موراي! هذا ما كنت اتصوره على الأقل، قبل مجيئي الى هنا! انا متأكدة من انك تعتزم على الأرجح طردي من هذا البيت، بمجرد استعادتك صحتك وعافيتك. ولكن... طالما انني اعتني بك، فلي، على ما اعتقد، ملء الحق في معرفة سبب نهوضك من الفراش.

ـ ليست لديك أية حقوق على الاطلاق، يا آنسة، عندما يتعلق الأمر بي أنا. وتذكري جيداً، ان هذا الأمر ينطبق عليك وعلى أي امرأة اخرى. تركت سريري لاختبر مدى قوتي ونشاطي، ولأعرف من يقترب من هذا البيت بمثل تلك السرعة الجنونية. كان علي الافتراض مسبقاً، ان السائق المتهور ليس الا الآنسة اندروز. ان لم تكوني قادرة في المستقبل على القيادة بطريقة افضل وأكثر وعياً، فلا تستخدمي بعد الآن أية سيارة تخصني.

حدقت به مذهولة، وهي تقول لنفسها انه متعجرف وجاحد للجميل.

ثم سألته بعد لحظة صمت غاضب:

ـ الا تفهم انني كنت احاول العودة بسرعة، لأجلك وبسببك؟ الا يثبت لك ذلك، انني انسانة تشعر بالمسؤولية وتقدر على تحملها؟

بذلت جهداً اكبر في تجنب النظر الى شفتيه الرائعتين، ثم سألته بهدوء وتهذيب:

ـ وكيف شعرت عندما قمت من السرير؟

ـ بضعف شديد، ولكن ظروفي لا تسمح لي بالبقاء هنا فترة طويلة!

ابعدت وجهها عنه، بعدما احست بارتعاش جسمها... لمجرد استعادة بعض الذكريات عما حدث في الليلة الفائتة. خفق قلبها بعنف بالغ، وهي تتذكر بوضوح تام الكلمات التي كان يهذي بها...! اوه، لا بد لها من السيطرة على هذه المشاعر المثيرة... قبل استعادته صحته ونشاطه... والا فانها ستواجه مشكلة صعبة! قالت له بحدة، تظهر مدى الاستياء من غروره ونكرانه للجميل:

ـ لا يمكنك توقع الشعور بالقوة والحيوية، بعد كل الذي عانيته... ولا تزال تعانيه.

قال لها، وكأنه قرأ افكارها:

ـ فيما تنهمكين في تعداد الخدمات التي قدمتها لي، يا آنسة اندروز، دعيني اذكرك مرة اخرى بانك تعملين في بيتي وتحت امرتي. ربما لم اكن اعلم ذلك مسبقاً، ولكن من الواضح انك خططت لهذا الأمر بعناية تامة قبل أو لحظة دخولك هذا البيت. اردت ان تحصلي على هذه الوظيفة، لأنك تعرفين تماماً ما قد يترتب عليها من احتمالات ونتائج.

ـ انت رجل مفعم بالبغض والكراهية!

قال لها بلهجة قاسية جداً:

ـ كفى، يا آنسة! اذا كنت ستفكرين بي هكذا أو تقولين لي مثل هذا الكلام، كلما اصدرت اليك امراً، فالأجدر بك جمع امتعتك ومغادرة هذا المنزل... فوراً!

صعقت وفقدت كل شجاعتها، وقالت له بصوت خائف جبان:

ـ آسفة! انا آسفة جداً، يا سيد موراي. لا... لا اريدك ان

تطردني...

قاطعها مهدداً متوعداً بلهجة جافة:

ـ هذا ما سيحدث لك، ما لم تكوني على استعداد تام لتغيير اساليبك. صدقيني، لقد شاهدت ما يكفي ويزيد من مدبرة منزل تأتي واخرى تذهب... بحيث لم يعد يضايقني أو يدهشني ابداً احتمال خسارة ثامنة أو عاشرة.

شحب وجهها وارتعش جسمها، وهي تقترب من سريره. انحنت فوقه ومدت يدها نحو يده دونما وعي أو ادراك لما تقوم به. لن يفهم ابداً سبب رغبتها اليائسة في البقاء، ومع ذلك ضغطت على يده وقالت:

ـ اعدك، يا سيد موراي... اعدك بأن اتصرف بطريقة احسن وأفضل.

نظر نحو يدها باستهزاء واضح، وقال:

ـ كما فعلت من قبل؟ ام ان هذا الكلام هو وعد بمنحي مستقبلاً جائزة تقدير من نوع ما، اذا ابديت استعداداً لغض النظر عن... التقلبات الواضحة في مزاجك؟

اصطبغت وجنتاها باللون الأحمر، فسحبت يدها بسرعة وهي تشعر بالندم والمرارة نتيجة هذا التصرف المتهور. الم تتعلم بعد دروساً كافية، للابتعاد عن المشاكل وعدم التورط بها؟ قالت له متلعثمة:

ـ آسفة. لم... لم انتبه الى ما فعلت.

نظر اليها بطريقة شخصية، توحي باحتمال استغلاله اندفاعها في الوقت المناسب. ثم قال لها ببرودة، وكأنه ضجر من هذا الحديث السخيف:

ـ لست متحمساً كثيراً لرميك في الشارع، في مثل هذه الفترة من السنة، ولكنني لن انذرك مرة اخرى. هل اوصلت جايمي الى المدرسة، دون اية مشاكل او عراقيل؟

تغلبت رغبتها في اصلاح ذات البين، على شعورها بالاذلال نتيجة لايحائه بأنها متشردة لا بيت لها او عائلة. قالت له:

ـ اوه، نعم.

ثم علت وجهها ابتسامة خفيفة، واضافت قائلة:

- لم يصل متأخراً عن موعد بدء الدراسة، اذا كان هذا ما تعنيه.

- لا، لم يكن هذا ما اعنيه.

- انه صبي طيب للغاية.

ظل يحدق بها دون اجابة او تعليق، فحاولت تغيير الموضوع بالقول:

- هل يمكنني احضار كوب من العصير، او اي شيء آخر؟

اجابها بالنفي، فقالت له ان جسمه بحاجة الى مثل هذه الامور. واضافت:

- على اي حال، سيحضر الطبيب خلال فترة قصيرة.

- ماذا؟ هل طلبت من ستيوارت الحضور الى هنا؟

- قال لي جايمي انه طبيبك.

- الهاتف معطل، وهذا يعني انك ذهبت الى بيته. لا تفعلي ذلك ثانية، يا آنسة!

- لم اجد في بيته سوى ابنته.

- هذا افضل... هذا افضل بكثير. هل شعرت بالقلق؟

- الم تتوقع منها ذلك؟ ام انه مجرد سؤال سخيف؟

- حذرتك من زلة اللسان، يا آنسة اندروز!

- نعم، اذكر ذلك. ولكنك لا تشجع كثيراً من هم حولك ويهتمون بك، يا سيد موراي!

- هل تحبين ان يشجعك رب عملك كثيراً، يا آنسة؟

استدارت عنه بسرعة، لأنها لم تعد تتحمل النظر اليه او سماع كلماته اللاذعة القاسية. اطعمت النار بعض الاخشاب التي لا تزال موجودة قرب المستوقد، ووقفت بهدوء لتتمتع بالدفء والحرارة... وبتأمل السنة اللهب الذهبية الحمراء.

طالت فترة الصمت المخيم على الغرفة، وازداد معها شعور ثيا بالذنب. لوجان موراي على حق، فتصرفاتها لا تتمشى مع وظيفتها كمدبرة منزل... كخادمة. يجب الا تقف هنا في حجرة النوم الرئيسية، تنعم بالدفء والراحة وكأنها سيدة البيت. ادارت وجهها نحوه، فرأته مستلقياً

على سريره مغمض العينين شاحب الوجه. كررت السؤال ذاته، الذي دأبت على توجيهه كببغاء دون الحصول على جواب مناسب منه:

- هل انت بخير، يا سيد موراي؟

- هل تظنين انني ابقى في الفراش، اذا كنت بخير؟

يا لسؤالها السخيف! ولكن... لماذا هذا التصرف المزعج من جانبه؟ لماذا يتحدث معها بهذه الطريقة القاسية الفظة، كلما اظهرت نحوه اهتماماً او قلقاً؟ تجنبت نظراته المتعجرفة، وسألته بصوت حزين... وهي تنظر بأسى الى صدره العاري:

- الن ترتدي شيئاً... قميصاً مثلا، يا سيد موراي؟ قد يصل الطبيب بين لحظة واخرى.

ركز نظراته بضع لحظات على نصفها الاسفل، وسألها بحدة:

- الن ترتدي انت اي شيء آخر، عوضاً عن هذا السروال الازرق الضيق؟

- اوه... ولكن... سوف...

- لن ينفع البحث عن الاعذار، ان لم تكن موجودة اساساً. انا لا اسمح لأي مدبرة منزل تعمل في بيتي، بالتجول هكذا... كمراهقة مرتبكة. هل تعرفين انك تبدين في هذا السروال كفتاة في السابعة عشرة، عوضاً عن... ماذا قلت لي... تسعة وعشرين؟

- حسناً، ساحاول القيام بما يمليه علي الواجب.

- احضري لي اذن كوب العصير.

نفذت اوامره دون تردد، مع انها شعرت بالاستياء من لهجته ومن اسلوبه في التعامل مع الآخرين. الا يعرف كلمة واحدة رقيقة او مهذبة؟ هل يجهل تماماً وجود كلمات او تعابير ناعمة لطيفة، ام انه يعرفها ويتعمد تجنبها لسبب او لآخر؟ لا عجب في انه رجل وحيد ومتقوقع على نفسه، فما من امرأة تقدر على العيش معه... او حتى على تحمله لفترة قصيرة.

اعطته كوب العصير، فأخذه منها دون توجيه اية كلمة شكر على الاطلاق. تأملته وهو يجلس في سريره ليشرب العصير، فقالت لنفسها انه جذاب للغاية... ولن يجد صعوبة، حتى على الرغم من هذه التصرفات

القاسية، من ايجاد عشرات النساء اللواتي لن تتردد اي منهن في الاستسلام له ومحاولة اسعاده. وفجأة سمعته يقول لها، بلهجة شبه مرحة:

- قد اتمكن الآن من الوصول الى الحمام، وحلاقة ذقني. واذا نجحت في ذلك، فربما ساقنع ستيوارت بعدم الاتصال بشركة دفن الموتى.

- هل تعتقد حقاً انك مضطر للذهاب الى الحمام؟

- بالنسبة لفتاة مثلك... ! كيف يمكنني اعتبارك فتاة، وانت في التاسعة والعشرين من عمرك؟ بالنسبة لامرأة مثلك لديها خبرة في التمريض، فانت على ما يبدو بريئة الى درجة لا تصدق!

اثارتها سخريته الحاقدة، فحل الغضب محل الخجل وقالت له:

- سأعود اذن الى المطبخ لاعداد طعام الغداء، لأنني لست قادرة على التواجد خلال وقت واحد في مكانين مختلفين!

وصل الطبيب بعد ساعة من توجهها الى المطبخ، وكانت ثيا آنذاك قد انهت كافة الاعمال الضرورية واكتشفت انها ليست مضطرة لحلب البقرة. فقد احضر الراعي دونكان كمية كافية من الحليب، وابلغها بانه هو الذي سيهتم بمثل هذه الامور. لم يتضايق او ينزعج كثيراً، عندما علم ان لوجان مريض، بل قال:

- كنت اتوقع ذلك، لأنه لم يحضر هذا الصباح... ولأنه لم يكن على ما يرام يوم امس.

سألها بعد قليل عمن تكون، فابلغته بانها مدبرة المنزل الجديدة. بدت الدهشة على وجهه وهز رأسه قليلا، ولكنه لم يعلق بشيء على هذا الامر وغادر المنزل. شرحت لها مارثا على اثر ذلك، ان دونكان هو الرجل الوحيد الذي يعمل في خدمة لوجان... وهو مخلص جداً له، ولا يأتي الى البيت الا عندما يتعرض لوجان لهذه الحمى الآتية من الخارج.

نسيت لدى رؤيتها الطبيب، ان عليها استبدال ثياب المراهقة باخرى تناسب عملها... كما طلب منها لوجان. هرعت نحوه وحيته بتهذيب، ثم عرفته بنفسها، فقال لها بلهجة جافة الى حد ما... وكأنه يوحي بان لوجان فقد عقله عندما وظفها:

- اوه، اوه! ما هي المشكلة التي قلت انه يعاني منها؟

حدقت به برهة، ثم ردت عليه ببرودة:

- لم اقل انه يعاني من مشكلة معينة، لأنني لا اعرف ما هو مرضه. كل ما اعرفه انه مريض جداً، ولم يكن هذا الصباح افضل من ليلة امس... مع انه مصمم على مغادرة الفراش والعودة الى العمل.

- هذا هو لوجان موراي... لن يقبل بالبقاء في سريره الا مرغماً. سأذهب الآن لمعرفة حقيقة مرضه ومداه... بمفردي، اذا سمحت.

لماذا ينظر اليها بمثل هذا الازدراء؟ يبدو ان ما من احد يحب وجودها في هذا البيت، وكأنها تفرض نفسها فرضاً على الجميع. وحده جايمي يعاملها بطريقة مختلفة، مع انها لم تكتسب ثقته الكاملة بعد. آه، يجب اعداد الغداء... ولكن الطعام قليل في هذا البيت. ستملأ عما قريب كافة الرفوف والخزائن، بجميع الاشياء الضرورية، وبانواع مختلفة ومتنوعة من المأكولات الأساسية. سألت مارثا بهدوء:

- هل تتضمن مهامي هنا شراء المؤن؟

- نعم، ولكنه سيحدّد لك المبلغ الذي تستطيعين انفاقه.

يا له من رجل مقتر! من الواضح انه سيعطيها مبلغاً زهيداً من المال ويحدد لها انواع الاطعمة التي ستشتريها، ثم يتذمر من طريقة تبذيرها... او جهلها! لم تتحمل من قبل مسؤولية شراء المؤن والمواد الغذائية لعائلة بكاملها، فجدتها ومدبرة المنزل التي كانت تعمل معها اهتمتا بهذا الامر طوال الوقت. دق الطبيب باب المطبخ وقال لمارثا وثيا:

- الافضل لسيدكما ان يظل في سريره. يجب حمله على شرب الكثير من السوائل الساخنة المفيدة لصحته، وليس اي شيء آخر قد يصر هو عليه. حاولا قدر المستطاع ابقاءه في السرير.

لا يزال الطبيب مستاء من وجودها في هذا البيت، فقررت الرد عليه بحدة لم تكن جدتها لتقبلها منها اطلاقاً:

- اذا اراد السيد موراي النهوض من سريره، فلا اظن ان بامكاني ابقائه فيه... حتى ولو ربطته فيه او جلست عليه!

- انا لا اطلب منك القيام بذلك، يا فتاة.

احمر وجهها خجلا، وقالت لنفسها انها تستحق مثل هذا الجواب...

بسبب جملتها السخيفة. رفض فنجان الشاي الذي قدمته له، وقال لها بلهجة جافة:

- اتصلي بي ثانية، اذا وجدت انك بحاجة الى مساعدتي. قد تأتي ابنتي غداً، للاطمئنان عليه. استودعكما الله.

لم تقل مارثا شيئاً بعد ذهاب الطبيب، فسألتها ثيا بهدوء:

- هل تأتي الآنسة ستيوارت الى هنا مراراً؟

- كلما وجدت عذراً لذلك، وحتى بدون سبب في بعض الاحيان.

ندمت ثيا على توجيه سؤالها. اذا قررت البقاء، فسيكون من ضمن مهامها التصرف بلطافة مع اصدقاء لوجان وزواره. وعليه، فلماذا تشعر بالانقباض والانزعاج من مجرد التفكير بزيارة الآنسة ستيوارت؟ كيف تسمح لنفسها بالتورط الى هذه الدرجة، التي تصل الى حد الانانية والتملك؟

اغمضت عينيها بضع لحظات، فتذكرت تلك اللحظات التي احست بها لدقائق قليلة قبل ساعات معدودة. اوه! انها لا تزال تشعر بتلك الرعشة التي اجتاحتها وهي ملتصقة به على السرير حين كان فاقد الوعي ويتصورها امرأة اخرى؟ ارادت ان تعد له وجبة شهية من الدجاج او السمك او شرائح اللحم، ولكنها لم تجد الا بضع بيضات... فاعدت منها فطيرة كبيرة لذيذة الطعم والرائحة. اخذت الطعام اليه، وهي تشعر بالفخر والاعتزاز لتمكنها من تحضير مثل هذه الوجبة الناجحة، فقال لها بلهجة قاسية جافة:

- اعيدي الطعام الى المطبخ فوراً! لو كنت تفكرين قليلا، لعلمت انني لا اشعر برغبة في الأكل.

لماذا يرغمها على كرهه، قالت له بشيء من الحدة:

- لم اجد اي شيء آخر اعده لك. على اية حال، انت بحاجة الى الطعام.

- اعطني تلك الزجاجة، هذا اذا تمكنت من ايجادها بعدما اخفاها ذلك الطبيب المعتوه. ستساعدني اكثر من اي شيء آخر، على الخروج من هنا بسرعة اكبر.

- انا متأكدة من ان الطبيب لا يوافق على هذا الامر.

- اظن انك انت لا توافقين. جون طبيب جيد، ولكنه يعرف انني لا احب النصائح والارشادات كثيراً. وهو يعرف ايضاً، انني لست قادراً على انتظار مفعول الدواء.

- هذا يعني انك تفضل الاساليب الاخرى التي تتمتع بها. ما نفع وجود الاطباء اذن، ان لم تكن على استعداد للعمل حسب نصائحهم وتعليماتهم؟

- انا لم اطلب حضوره، يا آنسة اندروز. ولو كنت مكانك، لما تصرفت على هذا النحو الملتزمت والمتحفظ... فمنظرك على الاقل لا يوحي بهذا الشيء اطلاقاً.

انه لا يحتمل! لماذا لا تحاول استخدام المزاح بدلا من الاستفزاز؟ قالت له:

- اذا انت الآنسة ستيوارت لرؤيتك غداً، فقد لا يعجبها ان تجد الغرفة...

- ما من امرأة تأتي الى هذه الغرفة، يا آنسة اندروز، الا اذا كانت خادمة مثلك. لقد شهدت هذه الغرفة زيارات عدد كبير من النساء، تكفيني بقية عمري. فهن لا يرضين بجسم الرجل فحسب، بل يرغبن ايضاً في امتلاك روحه ونفسه.

كان بامكانها تحمل وصفها خادمة، ولكنها لم تقدر على قبول الاهانة الواضحة التي اوحى بها. قالت له ببرودة:

- ليس هذا من شأني اطلاقاً! الا انه يمكن القول بصورة عامة، ان الرجال عادة يتباهون بما لديهم من سحر وجاذبية. ولو لم تكن مريضاً، فلن تقبل على الارجح شابة مثل الآنسة ستيوارت بالصعود الى هنا.

امسك بذراعها وقال لها بحدة:

- ذكرت لك من قبل، يا آنسة اندروز، بانني لا اريد سماع رأيك كلما ادليت بملاحظة او قلت شيئاً. وارجو ان تصح توقعاتك بالنسبة للآنسة ستيوارت، لأنني لا اريدها هنا. اذا اتت بعد الظهر، فمسؤولية التخلص منها ملقاة عليك.

- هل هذا كل شيء، يا سيد موراي؟

- لا، ولكنه يكفي في الوقت الحاضر.

- ما هي حقيقة مرضك بالتحديد، حسب رأي الطبيب؟

- ليس شيئاً لا يمكنني الشفاء منه بسرعة، اذا تركت وحدي دون ازعاج ومضايقة.

لاحظت ثيا لدى اعادتها الصبي من المدرسة، ان الثلج بدأ يتساقط ضحكت بسرور، وقالت له بحماسة ظاهرة:

- انظر، يا جايمي. انها ثلوج الميلاد!

يا للغرابة! هذا اول يوم لها في دروملاريج ومع ذلك فهي تتطلع الى تمضية فترة الميلاد هنا... في هذه المنطقة المنعزلة النائية... اكثر بكثير مما شعرت به تجاه ذلك المنتجع السويسري الرائع. حاولت ادخال السرور الى قلب الصبي، فقالت له انها ستزين له شجرة حلوة. علق على كلامها بلهجة هادئة، ولكنها توحي بالمرارة:

- لا اظن ان ذلك ممكن. لم تكن امي تحب هذه الاشجار والفوضى الناجمة عن تزيينها. كما ان ابي لا يهتم بمثل هذه الامور. انه لا يحب الثلج اطلاقاً، لانه مضر للماشية والمزروعات ويرغمه على القيام باعمال اضافية.

- لا تخف. فسوف تكون لنا هذا الميلاد شجرة جميلة جداً. سأتمكن من اقناع والدك، بطريقة او باخرى.

اشترت علبة حلوى لجايمي، ووضعتها مع الاشياء الاخرى الضرورية للبيت التي كانت اشترتها من القرية قبل توجهها الى المدرسة. ستكون العلبة هدية منها، اما المأكولات التي ابتاعتها ودفعت ثمنها من مالها الخاص... فستحتفظ بأوراقها وتقدمها في الوقت المناسب لاسترجاع حقها من السيد موراي.

لفت جايمي نظرها الى العربة المخصصة لبيع الاسماك، والى النوع الذي يحبه والده، فاشترت كمية منه تكفي لوجبتين وكمية من نوع آخر للفطور صباح اليوم التالي. سأل بائع السمك جايمي عن صحة والده، ولكنه بدا اكثر اهتماماً بالصبية الواقفة قرب الصبي. وعندما قالت له ثيا

ببرودة انها مديرة المنزل الجديدة في دروملاريج، لاحظت ان تلك المعلومات لم تردعه عن مواصلة التحديق بها... بل زادت من اهتمامه بها.

اخذت عشاء لوجان، الذي اعدته بطريقة ذكية وفائقة الترتيب، فقبله منها دون اعتراض او احتجاج... وحتى انه تأمل الصينية بشيء من الاعجاب. طلب منها العودة الى عملها، بلهجته الآمرة الجافة التي اصبحت مألوفة لديها. لم يشكرها على الوجبة الشهية، التي بدت وكأنها الاولى من نوعها منذ فترة طويلة جداً. ومع ذلك فقد شعرت بالارتياح، لانه لم يرفض الطعام.

عادت الى غرفته في وقت لاحق، فوجدته نائماً بهدوء وسكينة وقد زالت عنه الحمى بشكل تام تقريباً. ولاحظت بسرور بالغ انه اكل معظم طعامه، وهذا دليل صحة وعافية. هل ستكون هذه المرة الاخيرة التي ستراه فيها نائماً؟ توترت اعصابها فجأة، واحست بالنار تشتعل في كافة انحاء جسمها، فاضافت بعض الاخشاب الى الموقد وحملت الصينية... وغادرت غرفته بسرعة.

استيقظت ثيا صباح اليوم التالي، في الغرفة التي خصصت لها، فشعرت وكأنها اتت الى هذا المنزل قبل أيام متعددة أو حتى اسابيع. استحمت وارتدت الفستان الوحيد الذي احضرته معها، ثم هرعت الى المطبخ لتشعل النار وتحمل المزيد من الحطب الى غرفة لوجان... قبل اعداد الشاي له ولها.

٤ـ وصلت متأخرة لاحضار جايمي من المدرسة، واضطرت للحاق به في طريق فرعية، حيث بلّلها الماء وهي تقطع المجرى الذي يصل اليه... في اليوم التالي اصيبت بمرض أقعدها عن العمل، وفاجأها موراي بعنايته الشديدة بها

تجمدت في مكانها، عندما شاهدت لوجان موراي جالساً على حافة الطاولة الخشبية. قالت لنفسها وهي تحدق به، ان ذهولها سخيف وغير طبيعي... ولكنها لم تتمكن من السيطرة على اعصابها او الحد من توترها.

احست بهيمنته على الغرفة... وعليها هي أيضاً، ففقدت القدرة على الكلام. بدا شاحب الوجه الى حد ما، ولكن نظراته اوحت بعزم وتصميم شديدين وبقوة شخصية لا تقاوم. بادرها الى القول، بصوت هادىء رصين:

ـ صباح الخير، يا آنسة.

لم يقل لها انها اتت في وقت مبكر، ولم يتهمها بالتأخير او التقاعس، اكتفى بتلك الكلمات القليلة، التي من الممكن انه يوجه مثلها الى مارثا او دونكان. لا، فمن المؤكد انه لا يعاملها بهذه الطريقة الباردة والجافة! اوه، كم كانت تمني النفس بالاعتناء به بضعة أيام أخرى، حتى يدرك انها انسانة لا يمكن الاستغناء عنها! ولكنه يبدو الآن مستعداً للذهاب الى عمله، ولن يقبل بعد هذا اليوم اية رعاية خاصة منها. افاقت من ذهولها وصدمتها، فقالت له بعد تلك الفترة الطويلة من الصمت:

ـ سيد موراي! انت بحاجة الى مزيد من الراحة! هل تعتقد ان قيامك الآن قرار حكيم؟

ـ ربما لا، ولكني متأكد من قدرتي على تجاوز المحنة دون صعوبة تذكر. الا ان ماشيتي قد لا تعيش، اذا لم تحصل على الرعاية المطلوبة.

ـ لديك راع يمكنه الاهتمام بها.

ـ ولدي ايضاً، على ما يبدو، مدبرة منزل تحاول منذ البداية التصرف بحياتي وبشؤوني الخاصة. قد تكونين الثبتي انك شخص مفيد، يا آنسة آندروز، ولكني آمل ان تعرفي حدودك.

حللت ثيا كلماته بدقة وعناية. لقد وصفها بالشخص المفيد، مع انها تشك كثيراً في انه توخى توجيه الاطراء والمديح. لا، فهو ليس من اولئك الاشخاص الذين يضيعون اوقاتهم باطراء الآخرين... مهما كان الامر. لاحظت ان عينيه الخضراوين تدرسانها عن كثب وبشيء من التشكك والحذر، ثم سمعته يقول لها:

ـ كنت افضل لو انك اكبر من عمرك بعشرين عاماً، مع العلم ان شابة مثلك يمكنها تحمل التعب والارهاق اكثر من امرأة في الخمسين من عمرها.

اثارت ملاحظته اشمئزازها وغضبها، لأنه يتحدث عنها كآلة او كحيوان، فيما بدا هو هادئاً وغير مهتم اطلاقاً بها او بمشاعرها. اجابته برصانة مصطنعة:

ـ نعم، يا سيد موراي.

- ما رأيك الآن باعداد فنجان من الشاي؟

حولت نظرها عنه بسرعة، ومدت يدها نحو الابريق لتملأه بالماء وتضعه على النار. ولكنها لم تتمكن من ارغام نفسها على عدم استراق نظرة ثانية الى التنورة الرجالية، التي يرتديها هذا الاسكتلندي الوسيم.

- الم تشاهدي من قبل رجلا يرتدي الكلتيّة، يا آنسة اندروز؟

ابعدت وجهها عنه مرة اخرى، وقالت بتلعثم واضح:

- طبعاً... ولكن... ولكن ليس عن قرب.

قال لها بلهجة ساخرة، دون ان يرفع نظره عنها:

- يجب الا تشكل هذه التنورة اي سبب للخجل او الخوف.

شعرت ثيا بان نظراته تخترق جسمها وعقلها... وقلبها، مشعلة في نفسها ناراً حارقة تكاد تلتهم فؤادها. يا للعجب! كيف يمكنها الشعور بالسعادة، فيما جسمها يتألم ويتكوى على نار جاذبيته وسحره؟ احست باليأس والأسى، فاستدارت نحوه بسرعة وقالت له:

- سيد موراي!

شجعها على متابعة حديثها، قائلا بشيء من الاستهزاء:

- نعم، يا آنسة آندروز؟

ندمت على تسرعها وتهورها، فتنهدت وقالت له:

- اوه، لا شيء. كنت على وشك تكرار ما قلته لك قبل قليل، ولكني ادرك عدم جدوى الكلام في مثل هذا الموضوع... لانك لن تصغي. يجب الا تغادر سريرك، فانا هنا ويمكنني المساعدة في كافة الأمور.

سألها بصوت ساخر قاس، وبلهجة جافة للغاية:

- الا تعتقدين ان وجودك بحد ذاته، يحتم علي مغادرة السرير؟ اليس من المفترض بي اجراء مقابلة، مع من قد تصبح مدبرة منزلي؟

- قد تصبح...؟

- نعم، يا آنسة ولا داعي ابداً للتظاهر بالدهشة والاستغراب. قد اكون مرغماً على استخدام من اجد، لاجل جايمي. ولكن لا تتوقعي بالتأكيد، الحصول على وظيفة... مهما كانت... دون الاجابة اولا على بضع

اسئلة، والحصول في المقابل على بعض المعلومات القليلة.

- معلومات؟

- بالنسبة للأجر، واوقات الفراغ، والمهام الملقاة على عاتقك...

توقف لحظة وهو يتأملها ويحلل رد فعلها، ثم قطب حاجبيه وسألها:

- الم تتوظفي ابداً من قبل، يا فتاة؟

قالت له كلمة نعم بتردد، لأنها كادت تذكر له الحقيقة. ومع انه لم يتهمها بالكذب، فقد شعرت بانه لم يصدقها تماماً. قال لها:

- اريدك ان تنهي كافة الاعمال الضرورية قبل الساعة العاشرة، يا آنسة آندروز، لانني اود الاجتماع بك في ذلك الوقت. ان لم اتأخر في الخارج لاسباب اضطرارية، فسوف القاك في المكتبة... او التي كانت مكتبة في وقت مضى.

هزت رأسها موافقة وصبت له فنجان الشاي، ثم سألته عن موعد فطوره. اوه، انه لا يزال يحدق بها ويربكها! قال لها ان الثامنة هي الموعد المفضل. سألته بعد قليل، عندما لاحظت انه على وشك الانتهاء من شرب الشاي:

- هل تريدني ان آخذ جايمي الى المدرسة، هذا الصباح؟

بدا الارتياح على وجهه، وكأنه يجد ازعاجاً كبيراً في نقل ابنه الى المدرسة، وسألها بايجاز:

- هل تريدين ذلك؟

- طبعاً! انا احب قيادة السيارات... واعدك بان اكون حذرة وواعية.

هز رأسه وغادر المطبخ، دون التفوه بكلمة شكر واحدة. اللعنة عليه! بدأت على الفور باعداد الفطور الدسم، ولكن معظم تفكيرها كان مركزاً على... لوجان موراي. ماذا يفعل الآن؟ الا يعرف انه لا يزال مريضاً؟ ماذا سيحدث له في هذا اليوم الممطر، اذا خارت قواه ووقع مغمياً عليه... في مكان ما؟ قررت اللحاق به للاطمئنان عليه، بالرغم مما ستتعرض له من ملاحظات قاسية وجارحة.

اعدت الفطور على طاولة المطبخ، وهمت بالخروج... ولكن لوجان دخل في تلك اللحظة ووراءه مارثا وجايمي. تذكرت ثيا فجأة انها لم تسأله عن المكان الذي يفضله لتناول طعام الصباح، وخافت من اثارة غضبه وحنقه مرة اخرى. اعتذرت له عما فعلت، فقال لها بلهجة جافة:

- لا بأس ابداً بتناول الطعام في المطبخ، فانا لم اعد سيداً محترماً منذ فترة طويلة... ولا استخدم قاعة الطعام الا عندما يأتيني ضيوف.

- الا تفضل تناول الغداء؟ اعني... بالنسبة لجايمي...

توقفت عن انهاء جملتها كيلا تقع في مشكلة اخرى معه، فابتسم بخبث وقال:

- هل تعنين ان علي التصرف امامه بلياقة وحسب التقاليد، كي يتعلم مني الاصول والعادات الجيدة؟ هل هذا ما تحاولين قوله بطريقة لبقة، يا آنسة اندروز؟

- ليس لديه اي شخص آخر و...!

نظر حوله وقال بنعومة خادعة مضللة:

- ارى ان بعض الاشخاص كانوا منهمكين في التحدث عن امور لا تعنيهم.

اعترفت له مارثا دون تردد أو خجل:

- اخبرتها! سألتني، فاخبرتها.

احمر وجه ثيا نتيجة شعورها بالذنب، وقالت:

- اوه... ارجوك... لم اقصد ابداً ان اكون فضولية...

قاطعتها مارثا، قائلة:

- ولكنك كنت فضولية بالنسبة لزوجة السيد، واردت الاستطلاع عن امور...

تدخل لوجان بحدة، مطالباً مارثا بالتوقف عن الكلام. ثم قال لثيا:

- سأراك في وقت لاحق، يا آنسة اندروز. واذا كانت لديك اسئلة اخرى، فارجو توجيهها الي انا.

لماذا تشعر بمثل هذه الاحاسيس الغريبة، كلما نظر اليها؟ يا لهذه المشاعر

المتضاربة! لذة مؤلمة ومتعة جارحة... رغبات مثيرة وخوف عارم! ستسنح لها الفرصة اثناء المقابلة، لترفض الوظيفة التي كانت تتمناها من صميم قلبها. الأفضل لها ان تغتنم هذه الفرصة الذهبية وتبتعد عنه، قبل ازدياد تورطها!

ذهبت الى الاجتماع المقرر بينهما، وهي تحمل فنجانين من القهوة. لم تكن متحمسة كثيراً لشرب القهوة في مثل هذه الظروف بالذات، ولكنها ستتمكن من الهاء نفسها بفنجانها اثناء المقابلة المرتقبة. كان لوجان واقفاً، وظهره نحو المستوقد الخالي حتى من الرماد. تمنت لو انها احضرت بعض الاخشاب، لتدفئة هذه الغرفة الكبيرة الباردة... التي تدل على فقر مدقع.

لم تشاهد سوى بضعة كتب قديمة على تلك الرفوف الطويلة والمتعددة، وثلاثة مقاعد بسيطة، وطاولة صغيرة قديمة، وستائر شبه مهترئة. كان لديها انطباع بان افراد عائلة موراي، مثقفون ومرتاحون مادياً، فماذا حدث لهذا الرجل الذي يعيش حالة بؤس لا تصدق؟ لا شك في ان زوجته انفقت كل امواله، وتعلم من جراء ذلك التصرف بمثل هذا الحرص والاقتصاد. ولكن الامر المؤسف حقاً، هو تعرض ذلك الطفل البريء جايمي لمثل هذه المعاناة والآلام. وضعت الفنجانين على الطاولة بيدين ترتعشان برداً، فسألها لوجان:

- هل تشعرين بالبرد، يا آنسة اندروز؟

- الى حد لا يذكر، ولكن.. الا تفضل ان اشعل النار؟

- لا، ليست النار ضرورية في الوقت الحاضر. ربما في وقت لاحق عندما يصبح الجو اكثر برودة.

- اكثر برودة؟

ابتسم، وقال لها باستهزاء واضح:

- يبدو انك مشبعة بنعومة الجنوب، يا آنسة اندروز. ولكنك اذا اردت العيش هنا، فعليك اعداد نفسك لمواجهة اوضاع اكثر قساوة. هل كنت تعيشين في لندن؟

- نعم.

www.elromancia.com

- وعائلتك؟ هل يعرف والداك مكان وجودك الآن؟ انا ادرك انك اصبحت في عمر يسمح لك بالتصرف حسب رغبتك ومشيئتك، ولكنني اود مع ذلك معرفة بعض التفاصيل القليلة.

- انا يتيمة الوالدين، وليس لدي اقرباء آخرون. لقد توفي ابي قبل ولادتي.

- اذن انت الآن حرة طليقة. ولكن، لماذا تركت لندن؟

- اعتقد انني شعرت... بالملل، فقررت القاء نظرة على اسكتلندا.

- يبدو انك اخترت اسوأ فترة في السنة، للقيام بذلك.

- قد تكون على حق، يا سيد موراي ولكنني لم اجد اي شيء آخر افعله... فأتيت.

- لن استعرض معك مرة اخرى كيفية مجيئك الى هذه المنطقة، فمن الواضح اننا لن نصل الى ابعد مما وصلنا اليه سابقاً.. ولكن، هل قمت باية اعمال منزلية من قبل؟

رفعت رأسها بعناد ظاهر، واجابته بكلمة واحدة فقط... نعم. سألها بهدوء:

- اين تعلمت الطهو بهذه الطريقة؟

- الطهو؟ اذا كنت تقصد موضوع الاحتراف، فليست لدي اي خبرة اطلاقاً. ولكنني اعتقد انني احببت فن الطبخ منذ صغري، ومارسته كهواية.

اكتفى لوجان بجوابها هذا، على ما يبدو، وقال لها فجأة:

- اذا وظفتك، يا آنسة، فسوف اتوقع منك اعمالا كثيرة باجر زهيد للغاية.

ذكر لها المبلغ، فكادت تشهق دهشة واستغراباً. رفع حاجبيه وسألها ساخراً:

- هل ستبقين، على الرغم من ذلك.

هذه هي فرصتها الذهبية، فالاجر تحقيري ومهين. ولكنها فوجئت بنفسها تقول له بحدة:

- لا يهمني ابداً الاجر الذي ستدفعه، ولا يهمني ايضاً نوع العمل الذي سأقوم به... ما دمت قادرة على البقاء هنا بعض الوقت.

اقترب منها كثيراً، بحيث يتمكن من دراسة ملامح وجهها وردود فعلها، ثم قال لها:

- يبدو انك تريدين ملاذاً وملجأ يا آنسة آندروز! هل تحاولين الاختباء من رجل ما؟

لعنت ثيا احمرار وجهها الناجم عن الشعور بالذنب، وقالت له متلعثمة:

- لا، ليس تماماً.

- هذا يعني ان ثمة شخصاً ما في حياتك! احذرك منذ الآن، يا آنسة آندروز، بانني لن اسمح لأحد بملاحقتك الى هنا... او باقامتك علاقة غرامية مع اي رجل قد يعجبك في هذه المنطقة. انت شابة جذابة ذات وجه جميل بريء، الا انك اذا قررت القيام بأي شيء في هذا المجال، فسوف تفعلين ذلك في مكان آخر.

نظرت اليه بعينين تقدحان شرراً، وقالت:

- سيد موراي!

ارادت ان ترفض هذه الوظيفة ذات الاجر التافه، ولكنها تذكرت انها حقاً بحاجة الى المأوى. وتذكرت ايضاً المساعدة الهائلة التي حصلت عليها هي وأمها في هذا البيت بالذات، ومدى رغبة والدتها القوية في رد الجميل الى عائلة موراي. كيف يمكنها اذن التخلي عن لوجان وابنه الصغير، انهما يحتاجان اليها بشكل واضح؟ والى اين ستذهب، اذا قررت التخلي عن هذه الوظيفة؟ قالت له بلهجة اقل حدة، لا بل بهدوء وسكينة:

- سيد موراي، يجب الا يقلقك اي شيء من هذا القبيل. فليس لدي اي صديق معين في لندن، كما انني لا انوي اقامة اية صداقة خاصة مع اي كان هنا.

- حسناً! سأحدد لك الآن المهام المطلوبة منك، والتعليمات التي اتوقع منك تنفيذها بدقة تامة.

ظل يتحدث اكثر من ثلاث دقائق متتالية، وكأنه قائد عسكري يعطي

ضباطه أوامر مشددة لمواجهة المعركة الفاصلة. وعندما انتهى من سرد تعليماته المشددة، سألها بصورة مفاجئة:

- ذهبت امس الى سوق القرية، اليس كذلك؟

- نعم. كانت تنقصنا اشياء كثيرة، فاشتريت ما نحتاج اليه ودفعت الثمن كاملا. احتفظت بالايصالات، لأريك اياها بالطبع.

سألها بانفعال عن المبلغ الذي انفقته، ثم قال لها بعد سماعه جوابها:

- اعطني الايصالات، لكي اسددها لك. ولكن تذكري مستقبلا، ان هذا المبلغ هو كل ما اسمح بانفاقه خلال اسبوع كامل.

كرر كلامه، على ما يبدو، لكي يتأكد من عدم وجود اي التباس او سوء فهم. لم تصدق ثيا اذنيها، فهذا المبلغ الضئيل لا يكفيها وحدها!

- ولكن...

قاطعها بلهجة غاضبة، وهو يرمقها بنظرات ساخطة:

- آنسة آندروزا لن اقبل منك اي اعتراض او احتجاج. الم احذرك من ذلك قبلا؟ الم انذرك بالتخلي عن اية محاولة لادارة شؤون هذا البيت حسب رأيك ورغبتك، بمجرد مغادرتي سرير المرض والغيبوبة؟ لقد شفيت الآن ولم اعد ذلك الرجل المريض، الذي لم يكن قادراً على وضع حد نهائي لمثل هذه التصرفات. انت لست اطلاقاً مدبرة المنزل التي اريد، ولن تصلي ابداً الى المستوى الذي اتمناه. ومع ان الحاجة فرضت علي، لسوء الحظ، اختيارك انت... فهذا لا يعني انني سأتحمل اي شيء يصدر عنك. فاما ان تطيعيني وتفعلي ما اقوله لك، واما ان تغادري هذا البيت فوراً! لن اقبل منك ابداً، كلمات مثل «اذا» او «لكن» او «ربما». وان لم تنفذي هذه التعليمات بحذافيرها، فسوف القي بك خارجاً بسرعة... لن يتمكن معها ظلك من اللحاق بك.

كيف يمكنها معارضة هذا الرجل بعد الآن؟ فانذاره واضح جداً، وهو ليس من النوع الذي يفكر مرتين قبل تنفيذ تهديداته. ولكن، كيف ستتدبر امر الطعام لاربعة اشخاص بمثل هذا المبلغ الضئيل... الا اذا كانوا

مستعدين للاكتفاء بالبطاطا؟ ذهبت الى المطبخ وراحت تكتب بعصبية على ورقة صغيرة... بطاطا مقلية، بطاطا مشوية، بطاطا مسلوقة، سلطة بطاطا، بطاطا مع الحليب، بطاطا! سألتها مارثا عما تكتب فلم تجبها، وكومت الورقة ككرة صغيرة ثم رمتها في سلة المهملات. شاهد جايمي الورقة والكلمات المكتوبة عليها، فاخذها الى والده وهو غارق في الضحك. ولكن لوجان لم يضحك، بل نظر الى ثيا بعينين قاسيتين ادخلتا الرعب الى قلبها وجعلتا وجهها يحمر خجلا وانفعالا.

امضت ثيا الايام القليلة التالية في العمل الشاق، وكأنها تريد اثبات شيء بالغ الاهمية لنفسها... او له. كانت تعمل من الفجر حتى ساعة متأخرة من الليل، وتشتغل بهمة جبارة لا تعرف التعب والكلل. حوّلت ذلك المنزل الكبير الذي تعمه الفوضى والقذارة، الى بيت فائق الترتيب والنظافة. وفيما كانت تشعل النار ظهر احد الايام في مستوقد المكتبة، دخل لوجان وقال لها بهدوء:

- اعتقد انك تتذوقين للمرة الاولى في حياتك طعم تنفيذ الاوامر، وانك لا تحبين مذاقه المر. ليست لديك الجرأة الكافية لمعارضة اوامري وتعليماتي، وذلك لسبب لا ازال اجهله حتى الآن. وعليه، فانك تحاولين جاهدة الانتقام مني عبر عملك المرهق والمتواصل لتحويل هذا المكان من زريبة الى بيت.

- لا، انا لا افعل ذلك اطلاقاً. كل ما احاول القيام به، هو تأمين اكبر قدر من الراحة لجايمي. سأبذل جهداً اضافياً في هذه الغرفة، كي تتمكن من الجلوس فيها عندما اكون انا في المطبخ.

- ولماذا لا اقدر على الجلوس في المطبخ، عندما تكونين انت هناك؟

- قد لا يكون الجلوس فيه مستحباً اثناء وجود مدبرة المنزل، بسبب روائح الطعام.

ضحك وقال لها:

- ليس لدي اي وقت كاف للجلوس هنا او هناك، ايتها الفتاة. وعندما اجد وقتاً للأعمال الكتابية، وبخاصة في الامسيات، فهذا هو المكان الذي

اجلس فيه.

- ولكن، عندما كانت زوجتك لا تزال على قيد الحياة...

اختنقت بقية الكلمات في صدرها، فقال لها:

- لم تعش زوجتي ابداً في هذا البيت، وعليه فلا داعي لأية تكهنات في هذا المجال.

- ان لم تسكن هنا بتاتاً، فكيف تعرفت اليها مارثا وقررت انها لا تحبها؟

- التقتها مارثا مرة او مرتين.

- اذن...

امسك بذراعها وبدا انه لن يتردد اطلاقاً في تحطيمها، لمجرد التمتع بسماع صراخها والتلذذ بايلامها. اوقفها على قدميها بعنف بالغ، وقال لها بحدة:

- آنسة آندروز! هل تسمحين بمغادرة هذه الغرفة فوراً، وبتركي وشأني؟ على اية حال، الم يحن وقت ذهابك لاحضار جايمي؟

- جايمي؟ نعم، سأذهب الآن بمجرد تنظيف وجهي ويدي. انا... انا آسفة جداً، لازعاجك واغضابك.

لم تجد مفتاح اللاندروفر في مكانه، فراحت تبحث عنه في غرفتها وبين ثيابها دون جدوى. واخيراً، استيقظت مارثا من احدى غفواتها القصيرة المتعددة وابلغتها بان السيد اخذ المفتاح صباحاً... وبانها ستجده على الارجح في السيارة. كانت بحاجة الى كل دقيقة لكي تصل في الموعد المحدد، وجاء هذا التأخير الاضافي ليزيد من توتر اعصابها ويدفعها الى قيادة السيارة بسرعة جنونية...

وصلت الى المدرسة، فلم تجد جايمي. ابلغها طالب آخر ان جايمي موراي توجه الى البيت، عبر طريق زراعية اقصر مسافة... تمر بين المستنقعات. شعرت بألم وخوف شديدين، وبخاصة لأن مارثا اطلعتها مرة على حقيقة ما يفعله جايمي عندما يأتي على هذه الطريق. فهو يتوقف للعب قرب البحيرة، على الرغم من تعليمات والده المشددة، وقد عاقبه لوجان في المرة الماضية، بارساله الى سريره دون عشاء.

اطلقت العنان لتلك السيارة القوية، المخصصة للطرقات الجبلية الوعرة، فوصلت الى دروملاريج مع حلول الظلام. لا، لن تسمح بحرمان الصبي من طعام العشاء هذه الليلة... فهو بالتأكيد يتضور جوعاً، كما في كل مساء. ثم... ما ذنب صبي صغير، اذا وصلت هي متأخرة؟ من الطبيعي جداً ان يقرر العودة بمفرده، عندما لا يجد احداً بانتظاره. كان عليها الانتباه الى الوقت، وعدم السماح لوالده المتعجرف باستفزازها واثارة اعصابها.

قفزت من اللاندروفر، وركضت بسرعة باتجاه المستنقعات لملاقاته والعودة به الى البيت في وقت مبكر... كيلا يعرف والده ماذا حدث معه. وقفت برهة لالتقاط انفاسها، وهي على بعد حوالى الفي متر عن المنزل، فشاهدت جايمي آتياً نحوها. لوحت له بذراعيها وركضت باقصى سرعتها، فيما كان قلبها يخفق بسرور وارتياح بالغين لرؤيته سالماً معافى.

فوجئت بجدول ماء عميق يصب في البحيرة، فعبرته غير عابئة بوصول المياه حتى قمة رأسها. وعندما وصلت الى الصبي، ضمته بين ذراعيها بلهفة وحنان وهي تقول له لاهثة:

- جايمي، جايمي! انا آسفة جداً لوصولي متأخرة الى المدرسة. كنت خائفة جداً من انك ستضيع في مثل هذه المنطقة، وبخاصة في المساء.

- انا لا اضيع ابداً.

ثم... رفع يديه فجأة وطوق عنقها، وقبلها على خدها بشفتين مرتعشتين. كادت الدموع تنهمر من عينيها، فقد بدا واضحاً انه لم يحصل على مثل هذا الحنان منذ زمن طويل. ولكن العناق لم يدم سوى لحظة وجيزة، ابتعد عنها بعد ذلك وقال:

- انك مبللة كثيراً، يا ثيا. الافضل لنا ان نعود الى البيت بسرعة.

البيت! ضحكت بارتياح وسعادة، وقالت له ممازحة:

- يبدو انني اصبحت معتادة على هذا الامر، يا جايمي، فالطقس هنا لا يعرف الجفاف.

- قد تكونين على حق، ولكنك تبدين وكأنك وقعت في مستنقع.

لاحظت ثيا انه لم يترك يدها... ربما ليتأكد من عدم وقوعها ثانية. قالت له:

- اردت الوصول اليك بسرعة، ولم اجد جسراً اعبره.

- بل، ثمة واحد على بعد حوالى عشرين خطوة من هنا. تفيض مياه البحيرة عادة في الشتاء، وعليه فليس من الحكمة ابداً اقامة جسر على ضفتها تماماً. الم تشاهدي الجسر؟

احست بمدى سخافتها وتسرعها، فتمتمت له ببعض الكلمات القليلة عن مدى القلق الذي كانت تشعر به... والذي اعمى بصيرتها. وصلا الى البيت، فوجدت لوجان بانتظارهما. تباً لهذه المشكلة! كانت تأمل في التسلل الى غرفتها لاستبدال ثيابها، والتظاهر بان كل شيء على ما يرام. بدا الاستغراب على وجه الرجل، الذي تجاهل ابنه وسألها بانفعال:

- ماذا كنت تفعلين في مثل هذا الوقت، وماذا حدث لك؟

- ما هو ذنبي انا، اذا بنيتم جسوركم في امكنة غير مناسبة؟

ضحك جايمي وقال:

- وقعت ثيا في النهر وجن جنونها. ضمتني الى صدرها، فتبللت ثيابي انا ايضاً. كان عليك ان تراها في تلك الحالة المزرية!

- هذا يكفي، ايها الفتى. على الآنسة آندروز الا تنسى انها مدبرة منزل، وليست مهرجة!

رفعت رأسها بقوة، غير عابئة برد فعله على هذا التحدي لشخصه الكريم. فهي ترتعش من شدة البرد، ومن التعب النفسي الناجم عن خوفها على الصبي. قذف شعرها الطويل كمية من المياه العالقة فيه على الارض والجدار القريب فقال لها لوجان بدهشة حقيقية:

- ماذا فعلت، يا فتاة بحق السماء؟ هل غصت تماماً في ذلك النهر...؟

لاحظت انه امتنع عن استخدام كلمة بذيئة، لاجل جايمي بالطبع... وليس لاجلها هي. قالت له انها وقعت، فطلب منها التوجه الى غرفتها لاستبدال ثيابها. واضاف قائلاً، بلهجة خالية تماماً من مشاعر التعاطف او الشفقة:

- يكفينا وجود مريض واحد في هذا البيت، في الوقت الحاضر.

ارتفعت حرارتها في اليوم التالي، ولكنها ظلت تكافح وتجاهد قدر المستطاع كيلا يعرف لوجان حقيقة الأمر. وما ان تناول الجميع العشاء وذهب جايمي الى غرفته، حتى شعرت بان المرض يكاد يقعدها عن التحرك... ولو للقيام باعمال بسيطة. حاولت النهوض من كرسيها، فلم تتمكن. كيف ستصعد الى غرفتها؟ عاد لوجان بصورة مفاجئة الى المطبخ، فوجدها جالسة في مكانها. سألها بهدوء:

- هل انت بخير؟

- اشعر بصداع فقط.

- ولكن صوتك غير طبيعي!

- سأشعر بالتحسن اذا تركتني وشأني.

- يبدو ان ذلك مستبعد في الوقت الحاضر. سأهتم بك الآن، فهذا واجبي تجاه الذين يعملون في خدمتي.

تضايقت من جملته، فقالت له بحدة:

- لا تقلق ابداً، يا سيد موراي! فلن اطالبك بأي اجر، ان لم اتمكن من العمل!

لم يقل شيئاً، فقررت القيام بمحاولة اخيرة لاقناعه بانها ليست مريضة جداً. ابقت يديها حول وجهها، الذي حولته الحرارة المرتفعة الى كتلة من اللهب، وقالت له بصوت هادىء:

- سأعد لك ابريقاً من القهوة وقطعة حلوى، ثم اذهب الى النوم.

- اذهبي الى سريرك الآن، يا آنسة آندروز، وساحضر لك شراباً ساخناً.

قالت كلمة، وهبت واقفة... احتجاجاً على لهجته الآمرة. احست فجأة بالغرفة تدور حولها وفيها، ولم تسمع سوى صرخة الخوف واليأس التي اطلقتها... قبل ان يمسك بها لوجان ويحملها الى غرفتها. لم تزعجها كلماته عن النساء وسخافتهن الطبيعية المعتادة، وشعرت لأول مرة في حياتها بانها في ايد امينة. وضعها على سريرها، ثم قطب حاجبيه عندما شاهد ارتعاش جسمها وقال لها بعصبية:

- هذه الغرفة باردة جداً. سأشعل لك النار فوراً!

قالت له ضاحكة، وهي تحاول التخفيف من قلقه:

- لقد اصبحت مثلي!

بدت ضحكتها ضعيفة للغاية، فازداد عبوسه. رفع السجادة الرقيقة عن الارض وغطاها بها، قائلا بلهجة آمرة متوترة:

- لا تتحركي اطلاقاً. انت بحاجة ماسة الى الدفء الداخلي والخارجي. سأعود حالا.

اشعل النار ثم رفع رأسها، واعطاها فنجان الشاي لتشرب منه. ارتجفت يداها، فاخذ الفنجان منها وساعدها على شرب محتوياته الممزوجة بالنعناع. وبعد قليل... بدا جسمها ينتفض ويتصبب عرقاً، فصرخت بخوف وذعر شديدين... دون ان تلاحظ ذهابه الى الحمام لغسل يديه:

- سوف اتقيأ، يا... يا لوجان.

عاد بسرعة وحدق بها باستغراب وذهول، وكأنما ايقظت كلماتها القليلة المتألمة ذكريات منسية منذ زمن طويل. حملها الى الحمام، وهو يقول لها:

- يذكرني صوتك بطفلة كنت اعرفها، ولكنني بدأت اشعر بالسرور والارتياح لأنك بالتأكيد لست طفلة.

امسك بها جيداً وراح يحدثها برقة ونعومة، فيما كانت يده الاخرى تربت بحنان على رأسها وكتفيها. وعندما شعرت بأنها افرغت معدتها مما اكلته في اليومين الماضيين، تمكنت بصعوبة من غسل فمها بالماء الساخن. ولكن لوجان غسل وجهها وعينيها برفق، ثم حملها الى سريرها.

لم تتذكر فستانها المبلل، الا عندما احست بان لوجان يحاول خلعه عنها. رفعت يديها المتعبتين لمنعه عن القيام بذلك، وهي تقول له بصوت ضعيف للغاية:

- ارجوك، يا لوجان. سأفعل ذلك بنفسي. انا لا ازال قادرة...

ارغمت نفسها على النظر الى عينيه الخضراوين، فلم تشاهد فيهما ما يخيفها او يرعبها. ومع ذلك، فقد احست برعشة مختلفة في كافة انحاء جسمها. قال لها بلهجة حادة:

- اعتقد ان وقت التظاهر بالاحتشام والتمسك به قد مضى، يا ثيا. انت مريضة وبحاجة الى المساعدة، هذا كل ما في الامر. اؤكد لك، بانه لا

داعي ابداً للخوف او القلق. لست واثقاً الى اي مدى ستصل هذه الامور كلها. ولكن مهما سيحدث، فاريدك ان تثقي بقدرتي على معالجة كافة القضايا الطارئة.

www.elromancia.com

٥ـ أثارت اللحظات القليلة التي جلس فيها بقربها مشاعر ثيا. وقبل ان تتمادى في تفسير تصرفاته، ابتعد فجأة ليقول لها بأنه لا يريد عشيقة... ووجدت، بعد زيارة جودي موراي له، فرص لتنتقم لنفسها، وتخبره بأنها لم تتمن يوماً الزواج منه!

ولكن... هل يقدر على ذلك؟ هل يتمكن من معالجة كافة الأمور؟ قالت لنفسها، وهي تحاول جاهدة مقاومة الاغماء أو الغيبوبة. ما من أحد يمكنه الاهتمام بهذه المشاعر البدائية من الحنان التي عصفت بها واجتاحتها... جسداً وروحاً. وما ان بدأ يغطيها برفق وعناية، حتى بذلت جهداً جباراً للسيطرة على مشاعرها، وقالت له دون ان تنظر الى وجهه الاسمر او عينيه الخضراوين:

ـ اقدر لك كثيراً رعايتك واهتمامك، ولكنني اعتقد ان وجودك هنا غير ضروري.

ـ قد تكونين على حق، ولكنني اتصور انني قلت لك الكلام ذاته تقريباً

عندما كنت انت في غرفتي لمساعدتي.

احتجت على كلماته ولهجته، بصوت ضعيف جداً، قائلة:

ـ الامر مختلف هنا، فانا مجرد مدبرة منزل ولا يفترض بك الاعتناء بي... الى هذه الدرجة.

ـ نادراً ما تبقى الامور على حالها، يا ثيا. يبدو ان علاقتنا لم تكن عادية ابداً منذ البداية، وثمة حقائق معينة يتحتم عليك مواجهتها وتدريب نفسك على قبولها. انت امرأة ناضجة وراشدة، ومن المؤكد انك شاهدت الكثير في حياتك... وعلمت ان الرجال يجدونك جذابة. وفيما يتعلق بي شخصياً، لدي شعور قوي وغريب الى حد ما بأننا التقينا من قبل. ربما في حياة أخرى، لا ادري تماماً.

لن تتخلى عن روحها المرحة، حتى في مثل هذه الظروف الصعبة. قالت له ممازحة:

ـ ربما كنت عبدة لك، حتى في ذلك الوقت. فوظيفة مدبرة المنزل لم تكن معروفة قبل قرون عدة.

ادهشها بوضع يده على خدها الملتهب، وبقوله لها:

ـ ربما! ولكن... حاولي الآن الاستسلام الى النوم، فانت لست في وضع يسمح لك بالبدء في حل هذا النوع من الأمور الغامضة والمعقدة.

شعرت بالراحة والسكينة من ملامسته وجنتها، فاغمضت عينيها وهي تحس بالأمان والطمأنينة قربه... وغطت في نوم عميق، مقتنعة بأنه سيظل معها.

استيقظت في وقت لاحق، فوجدته جالساً قرب سريرها... يقرأ. كافحت الضعف والوهن الشديدين لتجلس، ولتثبت له بأنها في حالة أفضل. ولكنه هب واقفاً واعاد رأسها الى الوسادة، ثم جلس على حافة سريرها وقال لها... فيما ظل ممسكاً بكتفيها:

ـ اهدأي، يا ثيا! توقفي عن الانتفاض... احسنت! ستكونين بخير في القريب العاجل، ان شاء الله.

يظن انها في حالة اهتياج وهذيان، كما كان هو قبل بضعة أيام. توقفت عن الحركة، حسب تعليماته، ثم سألته لاهثة:

ـ هل كنت اهذي؟ حدث هذا الأمر لي مراراً في صغري، عندما كنت اصاب بالحمى.

امسك بمعصمها لجس نبضها، ثم تنهد وقال لها:

ـ تصورت انك لا تزالين في تلك الحالة. كنت تتململين وتتقلبين كثيراً، ولم اتمكن من الابتعاد عنك الا قليلا. ولكن... لا تقلقي، فلم تفشي اي سرّ.

ـ كم الساعة الآن؟

ـ بعد منتصف الليل بقليل.

ـ يجب ان تكون في فراشك.

ابتسم برقة وقال لها:

ـ ليست الثانية عشرة دائماً موعد نومي، كما انك لم تحظي طوال الوقت باهتمامي الكلي. كنت اذهب بين الحين والآخر، للاطمئنان على بقرة جايمي المفضلة. ستفرحين كثيراً، عندما ستشاهدين عجلها الجميل والصحيح الجسم.

انهمرت الدموع من عينيها رغماً عنها، وقالت له بعفوية ولهفة:

ـ اوه، نعم! الن يفرح جايمي ايضاً، الى درجة كبيرة؟ انه بحاجة ماسة الى أمور تفرحه، فليس لديه الا القليل.

اوه! يا لهذا اللسان! لماذا تعمل على اغضاب لوجان موراي عمداً، بسخافتها وتسرعها؟ ولكنها فوجئت برد فعله الهادىء عندما قال لها:

ـ لديه اكثر بكثير مما توحي به المظاهر. واذا وجدت يوماً ما وقتاً قصيراً للتفكير ملياً بهذا الموضوع، يا صغيرتي الحادة الطباع، فقد ترين انني على حق. على أي حال، قد تطرأ في المستقبل القريب بعض التغييرات التي سيستفيد منها. وهنا لا بد لي من الاعتراف، بان الرجل وحده قد لا ينجح دائماً في تربية طفله بالطريقة الصحيحة.

اوه! ماذا يعني بهذا الكلام؟ لا، لن تقدر على الاستفسار عما يعنيه. ولكنها هنا... ولا تريد حدوث اي تغييرات! ارتبكت كثيراً، فقررت تغيير الموضوع. همست قائلة:

ـ على اي حال، اشكرك على اهتمامك بي. اشعر الآن بالتحسن،

فحرارتي عادة لا تظل مرتفعة لفترة طويلة.

ـ حقاً؟

هزت رأسها، وقررت اقناعه بصحة كلامها... بالدليل الحسي القاطع. حاولت النهوض بسرعة، فشعرت بدوخة قوية ووجدت نفسها تقع بين ذراعيه المستعدتين لاستقبالها. لم يتركها فوراً، بل ضغط عليها قليلا وقال:

ـ لماذا تحاولين جاهدة، اثبات قدرتك على تجاوز هذه المحنة الطارئة؟

لم تعرف سبب رغبتها المفاجئة في التعلق به، وفي السعادة القصوى التي تمنحها اياها ذراعاه. اليس مستعداً للقيام بالشيء ذاته، مع جايمي... او حتى مع اي كلب من كلابه؟ لن تطلب منه اي اهتمام خاص بها، ولكنها ستطالبه بما يكفي لرفع وطأة الشعور بالوحدة المؤلمة... الذي تتعرض له بين الحين والآخر. نسيت موقتاً الحواجز التي تفصل بينهما، وقالت له بصوت رقيق ناعم:

ـ لوجان! اعدني الى السرير.

رفعت وجهها نحوه مترددة. أظهرت استجابته الحنان الذي كانت تفتقده منذ سنوات... اتكأت على كتفه بينما لفّ ساعديه حول خصرها بعناية ليعيدها الى الفراش. ثم عادت لتتذكر التغييرات التي تحدث عنها قبل قليل.

تمتم قائلا بصوت عميق، وهو يتأمل شفتيها الناعمتين:

ـ الم اقل لك انك لا زلت تحتاجين الى البقاء في الفراش مدّة أطول؟

وجلس لوجان بجانبها ليتأكد من زوال اثر الدوخة بعد ان استقر وجهها المورّد على طرف الوسادة. شعرت بالدفء المنبعث من نظراته التي غمرتها. ووجدت نفسها تتحدث بامتنان لم يعبأ به كثيراً. مدّت يدها بحذرٍ لتمسك يده المطوية على طرف الغطاء. ربت عليها بيده الاخرى دون ان ينطق بكلمة واحدة. وقررت ان تقطع صمته المسترسل في ارجاء الغرفة.

شعرت انهما بعيدين عن العالم، وانهما يلتقيان في حلم لا تعرف الى اين سيحملها.

حرّكت قدميها بارهاق بادٍ في أنّتها التي انبعثت في أذنيه كرنين جميل.

ارتجفت شفتاه وهمّ ان يقول شيئاً. نظرت اليه محاولة ان تعرف ما يدور في تفكيره ثم قالت بصوتٍ هامس:

ـ ماذا؟

ازاح يده عن يدها التي بقيت لفترة دون ان تحرّكها وقال لها بشيء من الودّ:

ـ قمتِ في وقت قصير بعمل مرهق، يا ثيا! انني لا افهم لماذا اخترت هذا العمل في منزلي مع انك تستطيعين ان تجدي عملا يوفر لك راحة وطمأنينة اكثر مما تجدينه هنا؟

ـ حين دخلت المنزل لم يكن باستطاعتي ان اتردّد كثيراً في الوقوف الى جانبك وانت في تلك الحالة التي ارجو ان لا تعاودك ابداً.

ـ ولكنني اشعر بها وانا انظر اليك الآن.

اثارت كلماته رغبتها العميقة بأن ترتمي على صدره. ولكنها ارادت ان تتأكد من حقيقة ما سمعته. لن تضيف شيئاً. ولعلّ كلماته لم تكن اكثر من مجاملة لطيفة بسبب مرضها.

ابتعد لوجان عنها فجأة، وبشكل متعمد، وكأن جسمه وقلبه ومشاعره آلة يحركها عقله ساعة يشاء... ويشل حركتها تماماً عندما يعتبر الفرصة مناسبة. كانت ثيا في تلك اللحظة لا تزال زائغة البصر، شاردة الذهن، مشوشة الافكار... وتذوب لذة ومتعة. الا ان ذلك كله، لم يحل دون شعورها بتوتره لها. سمعت تنفسه الحاد، وأحست بعرق جسمه يتسلل بين اصابع يديها الممسكتين بظهره. ومع ذلك، تغلبت ارادته القوية على رغباته الجامحة وعواطفه المتفجرة...

وكأنه تذكر فجأة مكانته بالنسبة اليها.

بدا في حالة استياء بالغ، وهو يبعد ذراعيه عنها ويقف قرب سريرها. حاولت الا ترفع نظرها عنه، ولكنها اضطرت الى النظر نحو النافذة... عندما بدأ يسوّي قميصه. رفع الغطاء ووضعه فوقها، ثم قال لها بهدوء مدهش:

ـ لا تزالين مريضة، يا ثيا. وعندما دخلت الى غرفتك مساء البارحة، كنت تهذين على الارجح... كنت كمن فقد وعيه او عقله.

فكّرت ثيا اذا كان موراي مستعداً للاعتناء بها فترة طويلة. وسألته بدهشة:

ـ هل كنت كذلك حقاً؟

ـ حاولت تهدئتك، ولكنني لم احقق نجاحاً باهراً في هذا المضمار.

ـ وكيف ستنجح؟ هل نسيت ماذا يمكن ان يحدث اثناء الغيبوبة؟

ـ لم تكوني انت كذلك تماماً!

ماذا ستقول له بعد ذلك وكيف ستتمكن من جعله يصارحها باهتمامه بها؟ قال لها ببرودة:

ـ لم يكن اكثر من عارض بسيط بسبب تصرفك حين عرّضت نفسك دون تفكير للماء والبرد!

لم تقدر على ردع نفسها عن القاء طعم آخر، على رغم الخطورة البالغة، فسألته بلهجة متهورة:

ـ ولماذا تظن ذلك؟

شد على يدها بقساوة ووجه اليها نظرات حادة، ثم سألها:

ـ هل كنت تبذلين جهداً فائقاً لارضائي؟ وظننت ان تخلّيك عني سوف يجعلك تخسرين كل ما أنت تفكرين به... صدقيني انا اريد مدبرة منزل وليس عشيقة او خليلة.

طعنها في صميمها، فصرخت به بعصبية بالغة:

ـ هذا آخر شيء اريده، او افكر به! لقد كنت بحاجة للعناية وكان هذا يكفي للبقاء بجانبك.

ـ انه لتفكير سليم جداً، وتحمدين عليه... وبخاصة ان لم تدفعك طموحاتك الى اكثر من ذلك. على اي حال، لن تكوني اول امرأة حاولت...

ـ انت انسان لا يحتمل... ومغرور... ومتعجرف! اعرف انني تنازلت، ولكنني فعلت ذلك لارضاء نفسي... بالنسبة لامر معين.

ـ ماذا؟

- لا شيء.

دفنت رأسها في وسادتها، واضافت متمتمة:

- هل تسمح الآن بتركي وحدي.

- بكل سرور.

احتقرت نفسها وشعرت بالاشمئزاز والازدراء الذاتيين، فبكت بحرقة وألم، وظلت تبكي... حتى نامت.

عندما دخل لوجان الى المطبخ صباح اليوم التالي، نظر الى وجهها الشاحب ثم تنهد وقال:

- ارجو انك تشعرين بتحسن، يا آنسة اندروز.

- لقد تعافيت تماماً، يا سيد موراي. لا ضرورة اطلاقاً لقلقك من انني سأشكل اية اعباء اضافية عليك.

تأمل قميصها الضيق وسروالها الملتصق جداً بجسمها، ولكنه اكتفى بالقول:

- يسرني سماع ذلك، يا آنسة.

ركز نظراته بعض الوقت على وجهها، فالتهب خداها خجلا وحياء... وأحست بانها قادرة تماماً على توجيه طعنة قاتلة الى قلبه. لماذا يتعمد ايلامها وتعذيبها، ويجد متعة في ذلك؟ ستشتري ثياباً اكثر لياقة وجدية، بمجرد تمكّنها من الذهاب الى فورت وليام. وحتى ذلك الحين، عليه ان يتحمل المنظر الذي يراه... ويتوقف عن التذمر.

يا لهذه العواطف الجياشة... الضعيفة! لماذا تحملق فيه على هذا النحو المزعج، وما هو سبب هذا الارتعاش المفاجيء في مفاصلها واطرافها... وجميع انحاء جسمها؟ استدار نحوها فجأة، فأحست بان اذلاله لها بلغ درجة لا تطاق. ولكن الضربة القاضية جاءتها بعد عودتها من مدرسة جايمي، فقد وجدته يعد نفسه لدعوة ابنة الطبيب الى العشاء.

لا، ليست مصادفة! لا شك في انه تعمد اسماعها كلامه لتلك الصبية الحلوة. كان ينهي حديثه بالقول:

- سأمر في السادسة والنصف تماماً، مما يفسح لنا مجالا كافياً للتحدث عن أمور عدة قبل العشاء.

عما سيتحدثان؟ ارتعش جسمها وهي تحاول التخلص من نظراته، التي بدت كحبل يربطها... وكسوط ينهال عليها. ابعدت وجهها عنه، رافضة الاعتراف بانها تشعر بالغيرة. اليس محتملا انه يدعوها بصورة منتظمة؟ بل، ولكن لوجان موراي رجل لا يحب الاعلان صراحة عن تحركاته ونواياه. فما هي دوافعه وأهدافه؟

آه! هذا هو اسلوبه لابلاغها بأن سيد دروملاريج، لن يحط من قدر نفسه الى درجة اعتبار احدى خادماته... امرأة جذابة بما فيه الكفاية. انه يقول لها ضمناً، ان عليها تناسي تلك اللحظات الوجيزة... او مغادرة بيته الى الابد!

ما اشد بؤسها! حضرت الى دروملاريج سعياً وراء الهدوء وراحة البال، فما بالها يبتعدان عنها على هذا النحو المؤلم والمرهق! لم يجرحها اي من الرجال الذين تعرفت اليهم، وعلى رأسهم جيري، مثلما جرحها لوجان موراي... وخلال أقل من اسبوعين فقط!

ما ان خرج لوجان من البيت، حتى وصلت امرأة رائعة الجمال وذات جاذبية خلابة مذهلة... في بداية الثلاثينات من عمرها. الا يعرف هذا اللعين امرأة غير جميلة، او على الأقل تتمتع بجمال عادي؟ توقفت المرأة فجأة، وقالت بلهجة يغلب عليها طابع الدهشة والاستغراب:

- اوه، انا آسفة. لم اكن اعرف ان احداً يزور لوجان في هذا الوقت.

- انا لست زائرة، بل مدبرة المنزل الجديدة. اسمي ثيا اندروز.

اقتربت منها السيدة قليلا، ثم حدقت بها باحتقار وقالت:

- ماذا؟ واحدة اخرى؟ اين وجدك، يا فتاة؟

- لم يجدني في اي مكان. قرأت اعلانه، فتقدمت الى الوظيفة.

- وكعادته، شعر بارتياح ولم يكلف نفسه عناء القاء نظرة فاحصة ودقيقة على التي سيوظفها في بيته.

حاولت ثيا مرة اخرى ضبط اعصابها، وردع نفسها عن رد الكيل كيلين... الى هذه المتعجرفة الغبية. سألتها بتهذيب مصطنع:

- هل اتصلت مسبقاً لمقابلة السيد موراي؟ يؤسفني ابلاغك بانه غادر البيت لتوه.

- سأجده، عندما اريد ذلك.

بدأت تتجول في البيت وتعلق على هذا الشيء او ذاك، وكأنها ربة البيت او سيدته، مما أوصل اعصاب ثيا الى حافة الانهيار. ثم اخذت صورة لثلاثة شبان، وقالت:

- لم يكن لوجان يوماً رجلا عاطفياً، ومع ذلك فهو يحتفظ بهذه الصورة.

- اعتقد انها صورة السيد موراي وشقيقيه

- صحيح تماماً. وكأرملة شقيقه الاكبر، لم اجد اية صعوبة في معرفة الشبان الثلاثة. انا جودي موراي.

ذهلت ثيا، ولكنها حاولت التظاهر بأنها لا تعرف شيئاً عن العائلة. قالت لها متلعثمة:

- اوه! انا... آسفة، يا سيدة موراي. لم اعرف...

- وكيف ستعرفين؟ توفي زوجي قبل اربع سنوات، فانتقلت الى فورت وليام... فيما اصبح لوجان المسؤول عن هذا البيت.

- هل اردت فعلا مغادرة دورملاريج؟

- لا، ليس تماماً. طالبني لوجان بالبقاء، ولكنني لم اكن متأكدة من جدوى ذلك.

- هناك جايمي، بالطبع.

- صحيح، فهو بحاجة الى ام.

- آنسة اندروز!

استدارت الشابتان فجأة نحو مصدر الصوت، فشاهدتا لوجان واقفاً في الباب وينظر بغضب عارم نحو ثيا. ارتجف جسمها خوفاً وذعراً، مع انها لم تعرف سبب غضبه وسخطه. امرها باحضار القهوة الى المكتبة، دون ان يزعج نفسه بالافصاح عن سرّ هذا السخط الشديد. كيف يفعل ذلك، وهو المتعجرف القاسي؟ اقترب من ارملة اخيه وأمسك بذراعها، ثم سار واياها وهو يسألها عن حالها وصحتها.

قالت مارثا، بعدما اخبرتها ثيا اسم السيدة الموجودة في المكتبة:

- انها تأتي الى هنا بين الحين والآخر.

- لماذا؟

- لماذا تأتي الى هنا؟ لرؤيته، طبعاً. انها على اتم الاستعداد لتصبح مرة اخرى سيدة دورملاريج، وهذا امر يمكنني تأكيده لك دون اي تردد!

- لماذا غادرت دورملاريج اذن؟

- كيف تبقى، وهي تريد بيع المنزل وما يحيط به؟

- وهل كانت قادرة على بيع دورملاريج؟

- طبعاً، فقد ورثت الارض والبيت عن زوجها... السيد جايمس. هل تعرفين ان السيد لوجان، اضطر لاستعادة املاك موراي عن طريق شرائها منها؟

- السيد لوجان؟

- نعم، يا آنستي، وقد باعت الاثاث ايضاً لاشخاص آخرين. ويقال انها حصلت على حوالى مليون جنيه استرليني، ومع ذلك فلم تشبع او تشعر بالاكتفاء.

- الأثاث ايضاً؟ وماذا حل بالمكتبة، وبالغرف شبه الخالية؟

- كانت بعض الكتب قديمة وقيّمة للغاية، ولكن السيد لوجان لم يصل في الوقت المناسب لانقاذها... او انها بيعت للآخرين، لانه لم يتمكن من دفع ثمنها الباهظ.

- ومن اين اشترى الاثاث الحالي؟

- لم يشتره، يا عزيزتي. اثاث كل ما ترينه الآن هنا، هو الاثاث القديم الذي لم يقبل احد بابتياعه... في ذلك المزاد العلني التافه.

- الم يتمكن السيد موراي من شراء الاثاث الاساسي لهذا المنزل، او اثاث جديد كلياً؟

- اعتقد ان همه الاكبر كان مركزاً على شراء دورملاريج. تصوري انها وضعت البيت والأراضي في مزاد علني، وكان بعض الاجانب يتنافسون بقوة على الشراء.

شعرت ثيا بتعاطف قوي مع هذا الرجل المسكين، وأدركت سبب قساوته وتصلبه. سألت مارثا بلهفة:

- وأين كان لوجان اثناء ذلك كله؟

www.elromancia.com

- يعمل في مكان ما في الخارج، بحثاً عن الثروة.

طفرت الدموع من عينيها، وصرخت قائلة بشكل عفوي... متألم:

- اذا كان يمضي مثل هذه الفترة الطويلة في الخارج، فلماذا اراد استعادة دروملاريج؟

- آنسة آندروز!

استدارت ثيا مذعورة، لتواجه به واقفاً قرب الباب وينظر اليها بعينين تقدحان شرراً. اللعنة على حظها السيء! كيف نجحت في اثارة غضبه وسخطه مرتين متتاليتين، خلال دقائق معدودة!

حملت الصينية بيدين مرتجفتين، قائلة:

- آتية... كنت آتية على الفور!

- العمل الجاد افضل من الاحاديث السخيفة. هيا!

فاتحها بالموضوع، فور ذهاب جودي موراي، فقالت له مارثا... مدافعة عن نفسها ومصالحها... ان ثيا بدأت توجه اليها الاسئلة. ثم اضافت:

- سألتني هذه المرة، يا سيد لوجان، عن الآنسة جودي.

- لم اسأل الا... الآ لأن...

- اريد التحدث اليك في المكتبة، يا آنسة آندروز، اذا كان وقتك يسمح لك ببضع دقائق.

تبعته حزينة متألمة، فأمرها بعد دخولها المكتبة باغلاق الباب. قالت له بلهجة، تنم عن توتر اعصابها الى درجة كبيرة:

- لم اتعمد توجيه اسئلة معينة. بدأ الامر بتعليقات من جانب زوجة اخيك الراحل، و... وأخذت كل نقطة تفضي الى أخرى.

- لم تكن وحدها التي ادلت بتعليقات، على مواضيع لا تخصها. فحديثك انت عن حاجة جايمي الى ام، كان مفيداً جداً على ما يبدو.

- انا لم اقترح ابداً...

- ثيا! لم تكف النساء عن اقتراح ذلك، منذ وفاة والدة الصبي. اصبحت محصناً جداً في وجه هذه الاقتراحات، وعليه فأنت تضيعين وقتك سدى. تزوجت مرة واحدة، وهذا يكفي. لا اريد زوجة اخرى ثم...

لست متأكداً مما اذا كنت تناسبيني من حيث العمر. هل قلت تسعة وعشرين عاماً؟ قد تكونين صغيرة جداً بالنسبة لي، او ربما متقدمة كثيراً في السن.

- من المؤكد ان جايمي يفضل التعامل مع زوجة لك، عوضاً عن سلسلة من... الصديقات. وتصور ان هذه السلسلة، لا تقتصر على ابنة الطبيب وزوجة اخيك!

- زوجة اخي؟

- لم تقل اي شيء فعلا بوضوح تام، ولكنها اوحت بانك كنت ترغب في ابقائها هنا.

- هل فعلت ذلك حقاً؟

- امسح هذه النظرات الساخرة عن وجهك! انت تتصور ان كل امرأة تسعى الى الحصول عليك، اليس كذلك؟ اذا كنت تعتقد انني اتمنى الزواج منك، فأنت بحاجة الى اعادة التفكير والتحليل! انا لا احب الرجال، يا لو... اعني... يا سيد موراي!

- حقاً؟ يبدو، اذن، ان اياً منا غير راغب في اقامة علاقة دائمة. لا بأس، يا عزيزتي، فانا افضل امرأة اكبر سناً... تعرف على الأقل ما تريد.

- من حيث المبدأ فقط... ما هي أهمية العمر، اذا كان الرجل والمرأة متفقين؟

ابتسم بمرح ظاهر، وقال لها:

- انت تحبين الغوص في كل شيء، بما في ذلك الجداول والانهر. هل تعرفين ان جودي تعتبرك صغيرة جداً في السن، لتعملي هنا... ان لم تقل اي شيء آخر؟ وجدت صعوبة فائقة في اقناعها، بانك في الثلاثين.

- في الثلاثين؟

ترك احدى يديها ليرفع وجهها نحوه، ويقول لها بلهجة هادئة ناعمة:

- انا شخصياً اجد صعوبة في تصديق ذلك، وبخاصة عندما اقترب منك الى هذه الدرجة. ولكن امراً هاماً يحيّرني كثيراً، فنظرة البراءة هذه لا

تتناسب والحياة التي عشتها.

لن تعترض او تحتج، وليعتقد ما يريد! سمعته يقول لها بحدة:

- ثمة شيء آخر، يا آنسة آندروز. سمعتك تسألين مارثا عن سبب رغبتي في شراء دروملاريج.

- من المؤكد انها ليست جريمة لا تغتفر، اذا سألت عن موضوع كهذا.

- ابتعت دروملاريج، لأنني اردت الاحتفاظ بها. هل يرضيك هذا الجواب؟

هزت رأسها بصمت، ولكنها ظلت تتساءل ضمناً عن كيفية حصوله على المال اللازم لشراء البيت والاراضي. قال لها باستهزاء:

- صحيح ان ممارسة ضبط النفس، عملية هامة للغاية. لم اعد الى دروملاريج قبل بلوغي الثانية والثلاثين، وهذا عمر يسمح للرجل الذكي والنشيط بجمع مبلغ كبير من المال.

- هل هذا كل شيء، يا سيد موراي؟

- لا! سيأتي اخي وامي لزيارتنا اثناء فترة الأعياد، ولست متأكداً من انني سأبقيك في هذه الوظيفة بعد ذهابهما. يؤسفني ان الوقت لا يسمح لي الآن، باعداد ترتيبات اخرى.

حاولت التظاهر بانها لم تسمع الشق الثاني من كلامه، وسألته:

- متى سيصلان؟

- ربما قبل يوم او اثنين من العيد.

- هل تفضلون الديك الرومي لغداء العيد، يا سيد موراي؟

- اتصور ذلك. افعلي ما ترينه مناسباً، طالما انك لا تزعجينني. سأسمح لك هذه المرة، بالتصرف حسبما تريدين.

- يحب جايمي ان نزين شجرة اثناء الاعياد... وانا ايضاً.

كانت تتوقع رفضاً قاطعاً وباتاً، ففوجئت به يهز كتفيه ثم يبتسم ويقول:

- طلبت منك ان تتصرفي كما ترغبين. اما الآن، فسأجلس هنا بعض الوقت لاتمام اعمال معينة.

جلس الى مكتبه، فتركته ثيا بامتنان. لقد اطلق الرجل يدها، ولو لفترة وجيزة. ستذهله... وستنتصر!

www.elromancia.com

٦- في طريقها لاحضار بعض الأغراض من متجر القرية صدمتها سيارة أخرى. عرف لوجان عمرها الحقيقي من رخصة القيادة. وشعرت بالخوف لأنه طلب منها مغادرة المنزل بعد الأعياد... ولم تتصور ان بامكانها التخلي عن حبها له، وأن تترك جايمي الذي تعلقت به كأم.

رسمت ثيا خطتها بعناية بالغة، وقررت القيام ببعض الخطوات الهامة. انتظرت خروج لوجان الى موعده مع ابنة الطبيب، وذهاب جايمي ومارثا الى النوم، ثم اتصلت بمحاميها. انه صديق العائلة، وهو الذي أصر عليها لتتصل به في أي وقت. سرّ الرجل كثيراً عندما علم انها بخير، وعبّر عن استعداد فوري لتلبية طلبها بتحويل مبلغ من المال الى مصرف قريب من دروملاريج. كان من الواضح انه سعيد جداً، بتراجعها عن قرار تحويل أموالها الى جمعيات خيرية.

ستحوّل قسماً من المال الى أعمال الخير، ولكنها ستخصص القسم الأكبر لأشياء أخرى. أنذرها عقلها، الذي لا يزال مرتبكاً بالنسبة لبعض

القضايا، بوجوب التصرف بحكمة وحذر. فمشاعرها تجاه لوجان آخذة في التحول بسرعة، من الكره والاحتقار الى التعاطف القوي... والشفقة. ستستخدم المال، الذي كادت تتخلى عنه بكامله في ساعة غضب، لمساعدة لوجان... وجايمي.

أخذت تتخيل هذا البيت الذي ولدت فيه، والذي أصبح الآن فجأة جزءاً هاماً من حياتها، وقد أعيد تأثيثه من الألف الى الياء. تصورت السجاد في جميع الغرف والقاعات، وبخاصة غرفة الصبي، والستائر... والمقاعد... و...

ولكن لوجان، هو الذي حظي بالقسط الأكبر من أحلامها وتمنياتها. فمزرعته تفتقر كثيراً الى المعدات والآلات الحديثة... وذلك الحصان الضخم المتوحش يشكل خطراً يومياً على حياته، ومن الضروري جداً استبداله بآخر يليق براكبه. المكتبة، الكتب، السيارة... انه بحاجة الى أمور عديدة! لن تحصل على الجزء الأساسي من مالها، الا عند بلوغها الخامسة والعشرين. ولكن المبلغ الموجود حالياً بتصرفها، يكفي ولو موقتاً للقيام بأشياء كثيرة.

ثمة عقبة رئيسية واحدة قد تحبط جميع مشاريعها ومخططاتها... لوجان! لن يقبل او يوافق. فكرامته لن تسمح له بذلك اطلاقاً. ماذا ستفعل اذن، وكيف ستتمكن من اقناعه بقبول مساعدتها؟

أمضت ثيا الأيام التالية، وهي تفكر بأنجع الوسائل الكفيلة باقناع ذلك الرجل العنيد. أخذت تنسى بعض المهام المنوطة بها، الى درجة ملحوظة، فقررت ان افضل شيء في الوقت الحاضر هو الانتظار والترقب. ستبرز بالتأكيد عوامل ايجابية... هكذا كانت جدتها تقول لها. وفي غضون ذلك، لم تتوقف عن تنفيذ اجراءات معينة... وبسرية تامة.

قررت الذهاب الى فورت وليام بسيارة لوجان العادية، لأصراره على ان اللاندروفر لا تناسب رحلات كهذه. مسكين لوجان! فسيارته، كمعظم الأشياء الأخرى في دروملاريج، قديمة وشبه مهترئة... وقد تتعطل معها في الطريق. ترددت في فتح الباب، فسمعته يقول لها:

- تحققت من كل شيء فيها، فلا تخافي.

استدارت نحوه، فابتسم وأضاف قائلا:

- هل انت واثقة من قدرتك على التصرف بمفردك؟

خافت من ان يعرض عليها مرافقتها في هذه الرحلة فسارعت الى القول:

- لا تنسى انني فتاة عصرية.

- هذه هي المشكلة، فأنا لا أعتقد انك عصرية... تماماً.

ابعدت وجهها عنه كيلا يشاهد احمراره، فقد أوحت لهجته بأنها اطراء وثناء... وهي لم تسمع منه حتى الآن اي كلام رقيق او حنون. سألها بهدوء... ولهفة:

- هل ستكونين بخير، يا ثيا؟

- لما لا؟ سوف تتذكر موعد احضار جايمي من المدرسة، أليس كذلك؟

- سأحاول! ولكن... لا تمضي النهار بكامله وأنت قلقة علينا.

أحست بأنه ينوي اضافة شيء آخر، ولكنه هز رأسه عوضاً عن ذلك... وابتعد عنها. اوه، لا بأس، لقد أفرح قلبها باهتمامه ولهفته، فأمضت نهارها بارتياح. وعندما قامت برحلتها الى فورت وليام خلال فترة يومين فقط، سحبت قسماً من المبلغ الذي حوّله لها المحامي في لندن. وشعرت ثيا للمرة الأولى منذ وراثتها هذا المال، انها تتمتع بانفاقه. فهي تنفقه على أشخاص يحظون باعجابها، او حتى... بحبها.

انها تحب جايمي، وتكاد تقع في حب والده. لم تعد هناك أية فائدة، لاخفاء هذه الحقيقة عن نفسها. قد يكون لوجان حاد الطباع، ومتعجرفاً، ومصمماً على عدم السماح لها برفع رأسها عالياً او بمعارضته حتى في أقل الأمور شأناً. ولكنه بالتأكيد معجب بها، ويرغب ضمناً في التقرب اليها. قبّلها مرتين، ولم تكن أي منهما بمبادرة منه، ففي الأولى كان يهذي ولا يعرف ماذا يفعل، وفي الثانية هي التي مهّدت له ذلك ولكن... لم تفكّر به الآن بهذه الطريقة؟

تساءلت بحزن وأسى بالغين، عن سبب هذين الشعورين المتضاربين اللذين يتصارعان داخل قلبها وعقلها. تحبه في هذه اللحظة، وتكرهه في تلك... تعطف عليه الآن، وتحقد عليه بعد ساعة... تريده وتتمناه

صباحاً، وتشمئز منه ظهراً او مساء! كيف يمكن لفتاة مثلها، ان تعرف أياً من هذين الشعورين هو الحقيقي؟

راحت تزور متجراً تلو الآخر... وتشتري. استهلت مهمتها بهدية جايمي، او بالأحرى هداياه. ابتاعت له جهاز راديو وقطاراً كهربائياً وعدداً من الكتب كتلك التي دأبت على قراءتها له... والتي يحبها كثيراً. أرادت شراء المزيد، ولكنها خشيت من اثارة غضب لوجان... او شكوكه. ثم اشترت له بعض الثياب التي يحتاج اليها، كحاجته الى الطعام، وقررت تهريبها الى خزانته دون علم والده.

لوجان؟ تمنت لو انه يقبل منها هدية كبيرة، كتلك التي تفكر بها، ولكنه لن يفعل ذلك. اشترت له مجموعة قليلة من الجوارب، بعد استشارة البائعة، التي تعرفه، عن الأنواع والألوان التي يفضّلها. لن يتمكن، الآن على الأقل، من الاعتراض على هدية بسيطة وعادية كهذه!

ابتاعت لمارثا هدية مماثلة من حيث الثمن، هي كناية عن شال من الصوف وخفين من الفرو المصنّع. اما والدة لوجان وشقيقه، فقد اشترت لهما علبتين كبيرتين من الحلوى... من المؤكد انهما سيشاركان بقية العائلة فيها. وأخيراً، ابتاعت لنفسها عباءة ناعمة وردية اللون، قد ترغم حتى لوجان موراي على النظر اليها... مرتين.

فرحت ثيا كثيراً عندما عادت الى دورملاريج، ولم تجد لوجان في البيت. قالت لها مارثا انه ذهب لاحضار ابنه، ولن يعود قبل السادسة. أعطتها ثيا علبة الحلوى الصغيرة التي احضرتها خصيصاً لها، فلم تنتبه العجوز الى الرحلات المتعددة التي قامت بها الشابة الفرحة بين السيارة والبيت. لم تكن غبية لتخفي كل شيء، فقد تركت العلبة التي تضم زينة شجرة العيد في مدخل البيت. وعندما عاد لوجان وجايمي، قبّلت ثيا الصبي بحنان بالغ وأرته تلك العلبة. قفز الصبي فرحاً وعانقها بحرارة، وهو يشكرها على ما قامت به.

لم يعترض لوجان على أي شيء، لا بل انه بدا مرتاحاً الى حد ما وهو يتأمل هذين الوجهين المشرقين بهجة وسروراً. ولم تصدق أذنيها أثناء العشاء، عندما سمعته يثني على جودة الطعام بحماس ظاهر. هل من تحوّل

جذري في تصرفاته معها، ام انها احدى تلك الفترات النادرة التي يتذكر فيها بعض انسانيته؟

احضر شجرة كبيرة بعد ظهر اليوم التالي، وسمح لها بابداء رأيها فيما يتعلق بالمكان الذي ستوضع فيه. وبعد التشاور لفترة وجيزة، استقر الرأي على وضعها في زاوية القاعة الرئيسية. لاحظت ان لوجان ليس واثقاً تماماً من انه يتصرف بحكمة ووفقاً لما يراه مناسباً، ولكنه لم يتردد لحظة في مساعدتها او ارضائها.

تلاقت يداهما اثناء العمل، فنظر كل منهما بسرعة الى الآخر... وبدأ قلبها ينتفض بقوة. تصورت انهما سيتعانقان، ولكن تلك اللحظة الوجيزة مرت بهدوء عندما تحرك من مكانه... وكأن شيئاً لم يكن. خجلت من نفسها ومن ارتعاش جسمها، فقالت له بصوت متقطع وهي تنظر نحو النافذة:

ـ سأنظف القاعة ثم... ثم أبدأ وجايمي في تزيين الشجرة، بعد شرب الشاي.

ـ هل تفضلين ان أذهب أنا لاحضاره من المدرسة؟

بدا وكأنه رجل يعرض المساعدة على... زوجته... المنهمكة في العمل. أحست بالدموع تدغدغ عينيها، فتظاهرت بالابتسام وقالت له:

ـ لا، ليس ذلك ضرورياً، مع انني أشكرك على الاقتراح. أوصيت على بعض الأشياء في متجر القرية، وسأذهب على أي حال لاحضارها. شكراً، مرة أخرى!

ابتسم، وقال لها بهدوء:

ـ لا يصبح الانسان طاعناً في السن عندما يبلغ الثلاثين، ولكنك لا تزالين محتفظة على ما يبدو بالكثير من حماسة المراهقة وحيويتها ونشاطها.

ـ ألا... ألا تحب النساء في سن الثلاثين، يا سيد موراي؟

ابتسم مرة ثانية، وقال لها:

ـ بدأت أسأل نفسي السؤال ذاته، يا آنسة آندروز، فلا تحاولي اغرائي. انا اعرف الكثير عن خدع النساء وحيلهن، بغض النظر عن أعمارهن. واذا رغبت يوماً في التظاهر بالوقوع في شباك أي منكن، فمن

النادر جداً ان يتم ذلك على عتبة داري.

أرغمت نفسها على توجيه ابتسامة خفيفة اليه، في محاولة يائسة منها لاقناعه بأنها غير عابئة بمثل هذا الكلام اللاذع، ثم استأذنت بالانصراف. كان كلامه واضحاً جداً، كيفما فسرته وحللته، ولم يؤد الا الى ازعاجها وايلامها.

غادرت دروملاريج، شاردة الذهن ومشوشة الأفكار. قادت اللاندروفر بحذر، وفقاً لتعليمات لوجان... وحسبما تفرض عليها الطرقات الضيقة والمنعطفات الخطرة. فاجأتها في وسط القرية سيارة مقبلة بسرعة، فحاولت تجنبها... ولكن دون جدوى. صدمتها السيارة الأخرى من الجهة اليسرى، فأوقعتها قوة الاصطدام الى الجانب الآخر من المقعد الأمامي... فيما ارتطمت سيارتها، لحسن الحظ، بصخرة كبيرة على حافة الطريق وتوقفت.

لم تعرف ماذا حدث بالضبط، ولكنها بدأت تسمع أصوات اشخاص ومحركات سيارات. حاولت رفع رأسها، ففشلت... وأحست بدوار عنيف. شعرت بعد لحظات بشخص يساعدها على الجلوس بشكل مريح، وهو يقول انه هو المخطىء. تأكد لها من صوته ومن لهجته، انه نادم جداً على تهوّره... وانه لن يسمح لأحد بتحريكها من مكانها قبل وصول الطبيب. اعجبتها نبرة الصدق والحنان في صوته، وتمنت لو كان بامكانها فتح عينيها لرؤية وجهه.

وبعد دقائق وجيزة، وصل الطبيب ومعه لوجان... الذي كان غاضباً الى درجة مذهلة ولم يحاول قط اخفاء حنقه وسخطه. هل هي سبب غضبه ام السائق الآخر؟ وضع الطبيب يده على عنقها، فانطلقت من فمها صرخة ألم. وعندما حاولت البدء في شرح الحادثة التي تعرضت لها، أخرسها لوجان بلهجة حادة غاضبة. وما هي الا لحظات وجيزة، حتى سمعت الطبيب ستيوارت يقول انه لا بأس من حملها الى بيته القريب جداً. رفعها لوجان بعناية ورفق تامين، وحملها الى منزل الطبيب، حيث وضعها في الغرفة المخصصة للمعاينة او العمليات الجراحية... وغادر الحجرة بناء على تعليمات الطبيب، وهو يقول:

ـ سأعود خلال فترة قصيرة، بعد ان أصب جام غضبي على ريتشاردز.

استعادت ثيا وعيها بصورة تامة، وشعرت بارتياح شديد عندما علمت انها بخير. قال لها الطبيب:

ـ كنت سعيدة الحظ جداً، يا آنسة، لأنك لم تتعرضي الا الى ضربة خفيفة على الرأس. ستستيقظين صباح غد باذن الله، وكأن شيئاً لم يكن. ولكنني أريد معاينتك صباحاً، قبل السماح لك بمغادرة السرير.

ـ أشعر بالارتياح التام لسماع ذلك. شكراً!

ـ يجب اعدام ذلك المتهوّر الأحمق ريتشاردز، لأنه سيقتل احداً في يوم من الأيام.

سألته بلهفة، بعد ان أعطاها الدواء:

ـ جايمي؟ كنت ذاهبة لاعادته من المدرسة، فماذا...؟

ـ لا تخافي، فقد اهتم به احد الأصدقاء.

ـ ولوجان؟ هل كان غاضباً كثيراً؟

ابتسم لها الطبيب، وقال:

ـ لا أتصور أبداً انك أنت سبب غضبه، اما ريتشاردز... فالويل له.

تمتمت بصوت ضعيف مرهق:

ـ انا متأكدة من انه لم يقصد الحاق الضرر بي، او بأي شخص على الاطلاق. أين لو...، اعني... السيد لوجان موراي؟ اريد الذهاب الى البيت.

سمعت ماري ستيورات تقول لها، وهي واقفة امام الباب:

ـ انه الآن مع رجال الأمن، الذين يجرون تحقيقاً في الحادث، وسيعود بعد قليل. لا شك في انه غاضب جداً، فالسيارة في وضع مؤسف للغاية. مسكين لوجان!

علق الطبيب بسرعة على كلام ابنته فقال:

ـ ليست الآنسة آندروز مسؤولة اطلاقاً عن هذا الحادث، أيتها العزيزة.

ـ بنيت تصوري هذا على المظاهر الخارجية، يا أبي. فالرجل مستاء جداً وأعتقد ان استياءه يشمل الجميع... ومن بينهم طبعاً مدبرة المنزل.

كانت ثيا خائرة القوى الى درجة لم تسمح لها بالرد على هذا التعليق الساخر. دخل لوجان بعد قليل كعاصفة هوجاء، فضايقها غضبه اكثر من صدمتها وتأثرها. لم تجد سوى كلمات قليلة تقولها له، في محاولة يائسة للحد من سخطه... ولارضائه:

ـ آسفة عما حصل للسيارة، يا سيد موراي.

ـ لست مسؤولة عما حدث.

تدخلت ماري بسرعة، قائلة:

ـ اذا كانت الآنسة آندروز تفضل البقاء هنا بعض الوقت للراحة، فهي على الرحب والسعة. هل اعد لك فنجاناً من الشاي يا لوجان؟

ـ لا شكراً، فجايمي ينتظرنا في السيارة. افضل العودة الى البيت فوراً.

وقفت ثيا بسرعة، فتمايلت وكادت تقع. امسك بها الطبيب، وقال:

ـ لوجان! قد يكون من الأفضل ان تحمل الآنسة آندروز.

ـ يمكنها ان تمشي.

وجه اليه الطبيب نظرة استغراب وتعجب، ولكنه لم يضف شيئاً الى جملته السابقة. شعر بأنها لن تتمكن من الوصول الى السيارة بنفسها، فوضع ذراعها على كتفيه وأمسك بخصرها لمساعدتها على قطع المسافة القصيرة. أغلق لوجان باب السيارة وراءها بقوة وتوجه بانفعال نحو الباب الأخر. وعندما بدأ جايمي في البكاء بشكل غير متوقع، قال له بحدة:

ـ هذا يكفي، يا فتى. ستنجو الآنسة آندروز بسرعة وبسهولة فائقتين. وهذه موهبة رائعة وفذة لا يتمتع بها الا بعض الناس.

بدا الشارع صامتاً ومقفراً، وكأن سخط لوجان افزع المواطنين وحملهم على الاختفاء في بيوتهم. ارتعش جسم ثيا فجأة، وأحست بأن ثمة مشكلة كبيرة ستقع... او انها وقعت فعلا. وصلت سيارة لوجان الى منعطف حاد، فلم يخفف من سرعتها. فقدت ثيا توازنها الهش، ووقعت على جايمي الذي يجلس متقوقعاً بينهما.

بكت بصوت مسموع، وهي تجاهد على اعادة نفسها الى الوضع السابق. قد تكون مسؤولة الى حد ما عن إلحاق أضرار كبيرة باللاندروفر، ولكنها لم تكن لتتوقع أبداً مثل هذه التصرفات القاسية والجافة من جانب

لوجان. فسيارة قديمة متعبة كهذه، لا تستحق الاهتمام والانفعال الى هذه الدرجة! لم تتمكن من حبس دموعها، فانسابت على وجنتيها اللتين فقدتا لونهما الوردي الجميل لحظة وقوع الحادثة. اعطاها جايمي منديله لتجفيف الدموع المنهمرة، فشكرته بمحبة وحنان.

وصلا الى دروملاريج، فخرج لوجان وأغلق الباب وراءه بقوة وعنف بالغين. بدا الصبي محتاراً مثلها، فحاولت اعادة الطمأنينة الى نفسه. خرجت من السيارة دون مساعدة، لتثبت له انها بخير. ولكن قدمها زلت في الوحل، ووقعت...! انهارت جميع آمالها وأحلامها، وشعرت بأن معنوياتها اصبحت في الحضيض. سألت الصبي، باكية:

- هل تسمح بمساعدتي يا جايمي؟

قفز الصبي الى الخارج، وقد تحوّلت نظراته فجأة من الخوف والذعر والدهشة الى شجاعة وعزم وتصميم. اخذ المنديل منها وقال لها، فيما كان يمسح الأوساخ عن يديها وساعديها:

- طبعاً ساساعدك. يا ثيا..

- الى غرفتي فقط. اذا ارتحت ساعة او ساعتين، فسوف أشعر بتحسن كبير. هكذا قال لي الطبيب.

سألها بصوت ينم عن القلق واللهفة:

- هل أنت متأكدة؟

- طبعاً، وساذهب بعد قليل الى المطبخ لاعداد طعامك. ستأتي جدتك غداً، يا جايمي.

- يهمني أمرك انت أكثر مما يهمني أمرها هي، مع انها جدة طيبة.

شكرته على مساعدته لها، وطلبت منه ان يتركها وحدها بعض الوقت.

تردد جايمي لحظة، ثم قال لها وهو يغادر الغرفة:

- اذا كان الشاي جاهزاً، فسوف أحضر لك فنجاناً على وجه السرعة.

تأثرت ثيا كثيراً باهتمام جايمي وعطفه وحنانه، فاستلقت على سريرها باكية ودفنت رأسها في وسادتها. يا لهذا الألم الشديد الذي بدأ يضرب رأسها، انطلاقاً من صدغها! لا شك في ان هذه هي النقطة التي تعرضت للارتطام فور وقوع الحادث! دخل لوجان فجأة، فهبت جالسة في

السرير... وهي لا تكاد تراه من شدة الألم. لم يعد يهمها أي شيء على الاطلاق، فهي متألمة كثيراً... جسماً وروحاً. صرخت بمرارة يائسة:

- ماذا تريد الآن؟

أرغمها على الجلوس على حافة السرير، وقال لها بلهجة خالية من أي شعور:

- أريد توضيحاً.

تمايلت الغرفة بها، فامسكت بذراعه رغماً عنها... لئلا تقع. أبعد يده بحدة، وقال:

- تمالكي نفسك، يا آنسة آندروز! لا أعتقد ان لأي انسان اخر القدرة على الغش والخداع مثلك، بما في ذلك القدرة على تحمل ضربة خفيفة كهذه!

أحست بآلام مختلفة بسبب نظراته الحادة، ولكنها تجاهلت هذا الأمر وقالت له:

- لم أتمكن أبداً من تفادي الاصطدام، فالسيارة الأخرى...

توقفت لحظة لالتقاط انفاسها، فلاحظت انه يريد معرفة أشياء أخرى. همست قائلة:

- ماذا تريد اذن؟

- قابلت بعض الأشخاص المسؤولين عن الأمن في هذه المنطقة.

- لم أكن أنا المخطئة.

- انهم يعرفون ذلك، فالدلائل كانت واضحة تماماً. طلبوا الاطلاع على رخصتك فأعطيتهم اياها، لأنك لم تكوني في وضع يسمح لك بأي شيء.

شهقت بذعر وهلع:

- اوه... الرخصة... رباه! لا تقل لي انها لم... لم تعد سارية المفعول!

- كل شيء فيها قانوني تماماً.

لماذا هذا السخط الوحشي كله؟ ولماذا يمسكها الآن بكتفيها وكأنه يريد رميها على الأرض؟ اوه، عمرها! لا شك في انه اكتشف حقيقة عمرها! دب الذعر في قلبها، ولكنها قررت عدم الاستسلام بسرعة. سألته بانفعال

www.elromancia.com

زائف:

- ما هو، اذن، سبب هذا الغضب العارم؟

- ما هو؟ لن تتصوري المدى الحقيقي لغضبي، يا فتاة. هل تعرفين انني على وشك التفوه بكلمات، لا تليق بأذنيك... وبعمرك؟

- تعني... انك تعرف...؟

- لم أكن بحاجة الا الى القاء نظرة سريعة ايضا، على جواز سفرك.

ابعدت وجهها عنه، وقد أصيبت بصدمة أقوى من تلك التي تعرضت لها قبل أقل من ساعتين. يا لسخافتها وحمقها! لماذا خدعته؟ تباً لها! سألته بصوت مرتجف:

- ورجال الشرطة؟

ضحك بصوت عال وبالغ القسوة ثم قال:

- سيحاولون التكتم حول هذا الأمر، ولكن الى متى؟! لن تمر فترة طويلة، قبل انتشار الخبر في جميع انحاء المنطقة. وسيعرف القاصي والداني ان مدبرة المنزل الجديدة في دروملاريج، لم تبلغ بعد الحادية والعشرين من عمرها.

- آسفة، يا لوجان. هل تعتقد حقاً ان احداً سيعير هذا الأمر أي أهمية على الاطلاق؟ أنا لست، على اي حال، الا مجرد موظفة.

- سمعك اليوم نصف سكان القرية على الأقل تنادينني لوجان... فيما كنت أحملك الى منزل الطبيب.

- لم أكن واعية الى ما أقول، و...

- ولكن الآخرين سمعوك، وهذا يكفي.

- آسفة!

- كنت تعرفين جيداً انني سأرميك خارجاً منذ اليوم الأول، فيما لو عرفت عمرك الحقيقي! يا لك من محتالة مخادعة! تظاهرت بأنك في الثلاثين، وتعرفين ماذا تفعلين!

- ولكنني... ولكننا لم نفعل شيئاً!

تجاهل ألمها وتعاستها ودموعها، وقال لها:

- لم أكن لأقبل بأية مدبرة منزل، يقل عمرها يوماً واحداً عن الأربعين

عاماً. ربما كنت سيىء الحظ، لأنه ما من واحدة منهن رضيت بالبقاء طويلا... بسبب العزلة او حجم البيت او امور اخرى اجهلها. بدأت أشعر باليأس والقنوط، وبخاصة لأجل جايمي. ولهذا السبب وحده، قررت المجازفة بقبول شابة في الثلاثين.

- لا بد لي من الاعتراف لك، يا لوجان، بأنني لم أحضر الى اسكتلندا بحثاً عن أي عمل معين. وصلت الى دروملاريج وكنت أنت مريضاً، فتأثرت كثيراً بالنسبة لجايمي. احببته منذ اللحظة الأولى، وشعرت كأنه الشقيق الصغير الذي طالما تمنيت وجوده ولم احصل عليه... او الابن الذي أتمنى الحصول عليه مستقبلا. عرفت انك لن تسمح لي بالبقاء، فيما لو اخبرتك انني لم أبلغ بعد الحادية والعشرين، وبدأت كل كذبة تؤدي الى اخرى.

- هذا ما يحدث دائماً. يكذب الانسان مرة، فيضطر الى الكذب مئة مرة.

لم تجرؤ على ابلاغه الحقيقة كاملة، فاكتفت بالقول:

- اتصور انك تريد مني مغادرة هذا البيت على الفور.

- لن تتمكني لسوء الحظ من الذهاب فوراً. ستضطرين للبقاء الى ما بعد الأعياد، فوالدتي آتية غداً صباحاً ولا أريد تحميلها مسؤولية الاهتمام بالعائلة. ولكن الأهم من ذلك، هو بقاؤك فترة أطول لأجل جايمي. لن أقبل بادخال الحزن والأسى الى قلبه، في هذه الفترة بالذات. ستكفيه الأحزان التي سيشعر بها، بعد الأعياد.

- اذا كنت تريدني حقاً ان أبقى، فسوف افعل ذلك. على أي حال، ليس لدي مكان آخر أذهب اليه.

- نعم هذا ما أريده.

أغلق النافذة وأقفل ستائرها بشيء من الانفعال وكأنه مستاء من أمر ما. ثم تطلع نحو ثيا، التي كانت ترتجف بقوة، وقال لها:

- ثمة مدفأة كهربائية في مكان ما في هذا البيت! هذه الغرفة أشبه بالثلاجة، وأنت بحاجة الى الدفء. سأذهب الآن لبضع دقائق لأرى ما يمكنني ايجاده.

ظلت ترتجف بعنف بالغ، ولكن البرد وحده لم يكن سبب هذا الوضع الشاذ الذي تشعر به وتعاني منه. فمجرد التفكير بمغادرة دروملاريج، يؤلمها ويدخل الحزن والأسى الى قلبها. لوجان رجل غريب الأطوار ومتقلب الأمزجة، ومع ذلك فهي... تحبه. تحبه أكثر من أي شخص آخر، أو أي شيء آخر في هذه الدنيا.

ستقابل رجالاً آخرين بعد عودتها الى لندن، ولن يكونوا جميعاً اشراراً مثل جيري. انها شابة في الحادية والعشرين من عمرها... جميلة، مثقفة، ثرية نسبياً، وتعيش وحدها في شقة مترفة. ستكون محط أنظار عدد كبير من الرجال، الذين قد يكون بعضهم أفضل بكثير من لوجان موراي، ولكنها لن تتزوج أحد غيره. لا تريد سواه! تريد حبه وعطفه وهواه... تريد أولاداً منه... تريد الاعتناء بجسمه ومنحه الحب والحنان والسعادة.

عاد لوجان ومعه المدفأة الكبيرة، التي أوصلها فوراً بالتيار الكهربائي. وما ان بدأ الدفء يعم الغرفة، حتى فوجئت به يبتسم ويقول:

- هل يمكنك خلع ملابسك بمفردك؟

- سأنزل الى المطبخ لاعداد...

- لا، لن تفعلي ذلك. أنا آسف، يا ثيا. لم أقصد أبداً ايلامك، ولكنني كنت متضايقاً من جراء الحادثة التي تعرضت لها... ثم صدمني اكتشاف حقيقة عمرك، فلم أعد قادراً على التصرف بوعي او سكينة. كان يفترض بي ان أعرف سنك قبل الآن، ولكنني لم أكن أعير أي اهتمام يذكر للخداع.

- لوجان...

- كفى، يا ثيا. لندع هذا الأمر جانباً، الى ما بعد الأعياد. أتصور ان الطفل المتشرد لا يتصرف دائماً بطريقة معقولة ومنطقية، كما انني كدت انسى كيف يشعر الانسان عندما ينفق آخر دراهمه... كما حصل معي أنا.

أغمضت ثيا عينيها، وهي تشعر بذنب من نوع آخر يجتاح عقلها وأحاسيسها. يجب اطلاعه على كل شيء! قد تكون شابة يتيمة وما من أحد

يهتم بوجودها، ولكنها بالتأكيد ليست فتاة فقيرة مشردة! ألا تخجل من نفسها، اذا تركته يفكر هكذا لفترة طويلة؟

www.elromancia.com

٧- خافت ثيا ان تعرفها السيدة موراي. . . الا ان شيئاً من هذا لم يحدث. وزّعت الهدايا، وكذلك فعل لوجان الذي ظنته نسيها. . . تبعها وجذبها اليه فشعرت بأنه يريدها الى الأبد.

كادت تقفز من مكانها لتقول له كل شيء، ولكنه ضغط قليلا على كتفيها وقال:

ـ اهدأي، يا ثيا، فلن تذهبي الى أي مكان خارج غرفتك هذه الليلة.

أعطاها قميص النوم، وأضاف قائلا بلهجة حنونة:

ـ هيا الى الحمام، وحاولي تنظيف نفسك من هذه الأوساخ. سأنتظرك هنا، لأطمئن الى عودتك الى السرير بسلام. وبعد قليل سنأتيك أنا وجايمي بطعام العشاء، لن تموت مارثا، اذا تحركت لاعداد الطعام.

لن يصغي الى كلامها وشرحها! قالت له بصوت ضعيف:

ـ لست مضطراً ابداً لازعاج نفسك بهذه الأمور.

ـ أريدك ان تشعري بالتحسن قبل صباح غد، يا ثيا.

لا يهمه تحسنها الا لتكون قادرة على الاعتناء بضيوفه! تحاملت على نفسها وذهبت الى الحمام، فيما ظل لوجان واقفاً كالصنم قرب سريرها. وعندما عادت وهي ترتدي ثياب النوم الخفيفة الشفافة، بدا وكأنه لا يلاحظ شيئاً غير مألوف. نظر اليها بشكل عادي تماماً كما لو انه. . . جدّتها. الا ان بريقاً خاطفاً لمع في عينيه للحظة واحدة، وهو أمر لا يحدث اطلاقاً عندما تنظر الجدات الى حفيداتهن.

احضر لها الطعام، وعانقها جايمي بحرارة قائلا لها انها تبدو جميلة جداً. وعندما لاحظ ان والده يبتسم لها، شع وجهه سعادة وسروراً. . . وكأنه تأكد آنذاك ان أباه غفر لها عما فعلته بالسيارة. لم يكن على علم بما حدث بالنسبة لموضوع العمر، ولم تكن هي ايضا راغبة في اقلاق راحته وتفكيره باطلاعه على امور كهذه!

استيقظت ثيا صباح اليوم التالي، وهي لا تزال مصممة على الاعتراف بالسبب الحقيقي لمجيئها. . . وبأنها ليست فقيرة معدمة. ولكن هذا الاعتراف لن يغير شيئاً بالنسبة لرحيلها المتوقع، وقد لا يؤدي الا الى ارباك لوجان وازعاجه. اذا اخبرته كل شيء، فقد يجد نفسه مضطراً لمطالبتها بالبقاء. . . مما سيزيد غضبه وسخطه. أفضل شيء اذن، هو احتفاظها بهذا السر والتزام جانب الصمت.

طلب منها الجلوس الى طاولة المطبخ، ثم صب لها فنجان شاي وقال لها بسخرية لاذعة. . . تعليقاً على جوابها له بأنها تشعر بتحسن كبير:

ـ الشباب، الشباب! يندر جداً، في مثل سنّك، ان يتأثر الانسان طويلا برضّة هنا او صدمة هناك.

تأثرت كثيراً بسبب اصراره على الاستهزاء بسنّها، فلم تعلق بشيء على كلامه. قال لها ان جايمي، المتحمس جداً للقاء جدته في فورت وليام، سبقه الى السيارة وينتظره على أحر من الجمر. غادر المطبخ دون أية كلمة وداع او مجاملة، ولكنه عاد من منتصف القاعة ليقول لها:

ـ اذا سألتك والدتي عن عمرك، كما أتوقعها ان تفعل، فالأفضل لك اطلاعها على الحقيقة. لن تقبل مثلي بالوقوع ضحية الاحتيال والخداع.

ماذا يعني لوجان بهذا الكلام؟ ماذا...؟ لا، لن تهدر الوقت الثمين بالتأويل والتفسير والتحليل. لم تدع الاعياء يثنيها عن اعداد مأدبة رائعة في قاعة الطعام الكبرى، وعن ترتيب البيت بطريقة تثير الاعجاب. وعندما سمعت صوت محرك السيارة بعد أقل من ثلاث ساعات، ارتجف قلبها وأحست بضعف شديد في رجليها. لم تكن لتظن أبداً بأن لحظة اللقاء هذه مع السيدة موراي، ستكون هامة الى هذه الدرجة. هل ستتذكر السيدة التي ولدت في بيتها، وعاشت فيه خمس سنوات كاملة؟ والأهم من ذلك هو... هل ستتذكرها والدة لوجان، بعد هذه السنوات الطويلة؟

تركت المطبخ على عجل، لترى ما اذا كانوا بحاجة الى أية مساعدة. وما ان وصلت الى منتصف القاعة، حتى أحست وكأنها شخص محكوم بالاعدام يركض بلهفة نحو الجلاد. دخلت السيدة موراي الى القاعة، قبل تمكن ثيا من الوصول الى بابها. كانت تحدث ابنها، ولكنها توقفت فجأة وهي تنظر بدهشة واستغراب بالغين الى هذه الصبية الجميلة. ثم قالت بلهجة، لم تكن لتصدر عن زوجة لوجان لو كانت مكانها:

- رباه! هذه لا... هل هي...؟ لوجان، هل أنت...؟

قاطعها لوجان قائلا:

- هذه هي ثيا آندروز، يا أمي.

لم يقل انها مدبرة المنزل الجديدة، وهذا يعني انه أخبر والدته عنها في طريق العودة الى دروملاريج. تمتمت بتحية الصباح، وبدأت تمد يدها للمصافحة. ولكنها سحبتها بسرعة، لئلا تعطي انطباعاً على انها ربة بيت ترحب بضيفة. لم تعد تذكر شيئاً عن هذا الوجه الطيب الجميل، الذي اعتنت صاحبته بها وبأمها طوال خمس سنوات وبضعة أشهر.

ردّت عليها السيدة موراي بصورة عادية، بعد مرور بضع لحظات... تمكنت خلالها من السيطرة على دهشتها. وأتت مارثا ببطء كالسلحفاة، فأحست بأن وجود العجوز سينقذ الموقف. ولكنها سمعتها تقول فجأة بعد الترحيب بالسيدة موراي:

- كيف تجدين مديرة المنزل الجديدة؟... كنت أعرف انك ستصابين بدهشة فائقة.

احنت ثيا رأسها، وقد احمرّ وجهها الشاحب ندماً وتأثراً. كانت تتمنى الفوز بمحبة السيدة موراي، ولكن استفسار مارثا الغبي والاستفزازي سيقتل هذه الأمنية في المهد. أرغمتها الدهشة على النظر نحو والدة لوجان، فرأتها تبتسم لمارثا بحرارة وتقترب منها قائلة:

- كيف حالك، يا عزيزتي؟

لاحظت ثيا في وقت لاحق، ان السيدة موراي لا تتسرع اطلاقاً في تعليقاتها او احكامها. فحتى اذا كانت تعتبرها صغيرة جداً، الا انها لم تكن غبية او متهورة لادانتها في كل شيء. أثنت كثيراً على الطعام الشهي، وطريقة اعداده وتقديمه. كما شكرتها بشكل علني وحار ايضا، على نظافة البيت وحسن ترتيبه. وعندما قدمت لها القهوة في قاعة الجلوس قالت لها السيدة موراي:

- لقد حدثت تغييرات جمة بسبب وجودك هنا، يا عزيزتي.

لاحظت ثيا ان لوجان لم يرفع نظره عنها، وكأنه يتساءل عما ستقوله لوالدته. احست بغضب شديد، وبخاصة لأن تلك النظرات باردة وقاسية ولا تعرف معنى الشكر والتقدير. استدارت نحو والدته، وأخبرتها انها حاولت احداث بعض التغييرات الطفيفة... عن طريق نقل بعض قطع الأثاث من مكان الى آخر، واحضار بعض القطع الأخرى من غرفة في نهاية الممر لا يستخدمها أحد. وختمت كلامها بالقول:

- أرجو ألا يكون هذا الأمر مزعجاً بالنسبة لك، يا سيدة موراي.

- لا، يا بنيتي العزيزة، طبعاً لا.

تنهدت بقوة، ولكن ليس بمرارة او حقد، ثم أضافت قائلة:

- لم يعد لي شأن بما يحدث هنا، في دروملاريج. ولكن من المؤكد انك أرهقت نفسك كثيراً في العمل.

حاولت الحد من اظهار حماستها، ولكنها فشلت... وسمعت نفسها تقول:

- لا، فقد تمتعت كثيراً في عملي... كما انني احب دروملاريج.

تدخّل جايمي قائلا لجدته، قبل ان تتمكن من التعليق على كلام صديقته الجديدة:

ـ ثيا وأنا سنزين الشجرة بعد الظهر، هذا اذا سمح لها أبي بذلك.

ابتسمت له جدته، ثم قالت لثيا:

ـ اخبرني ابني قبل قليل، عن الحادثة المؤسفة التي تعرضت لها، يا آنسة آندروز. أرجو ان تكوني شفيت تماماً. سام ريتشاردز شاب طيب ولطيف، ولكنه يقود سيارته دائماً بسرعة جنونية.

رنّ جرس الهاتف في تلك اللحظة، فقام لوجان للرد عليه. وعندما عاد، قال لها:

ـ اتصل ريتشاردز، ليقدم المزيد من الاعتذار. طلب التحدث معك، يا ثيا، ولكنني رفضت ذلك بالنيابة عنك.

احمرّ وجهها ضيقاً واستياء، وقالت له باستغراب شديد:

ـ ولكن... لم يكن لدي أي مانع للتحدث معه، يا لوجان! أعني... أعني، يا سيد موراي!

تضايقت كثيراً من نفسها، لاستخدامها اسمه الأول بحضور والدته. ولاحظت النظرة الحادة التي وجهتها السيدة موراي اليها، قبل ان تنظر الى ابنها بشيء من الدهشة. حاولت اخفاء ارتباكها المتزايد باللجوء الى الجدال والمناقشة. قالت له:

ـ بما انه أراد الاعتذار مني شخصياً فلم يكن من الضروري منعه من ذلك. أتمنى...

ـ لا يمكن الأخذ بتمنياتك في مثل هذه الحالة. يجب ان تتركي لي حرية التصرف في مواضيع كهذه.

ـ لا أرى أي...

ـ ثيا!

جمدتها نبرته الحادة في مكانها، وأزعجتها نظراته الحادة كثيراً... بحيث بدأ جسمها يرتجف حنقاً وانفعالاً. غادرت الغرفة بسرعة ودون اي تعليق او استئذان. لا شك في ان مشاعر العداء التي أحست بها تجاه لوجان، دفعتها الى تحديه بشكل او بآخر. ولكن تصرفها كان سخيفاً، وبخاصة لأنها ستغادر دروملاريج بعد الأعياد مباشرة.

توجهت السيدة موراي بعد قليل الى المطبخ لشرب فنجان من الشاي.

وعندما عرضت عليها ثيا أخذ فنجانها الى قاعة الجلوس، رفضت الاقتراح بتهذيب قائلة انها تود الجلوس معها. وفيما بدأت ثيا بصب الشاي، أبلغتها السيدة موراي بأن شقيق لوجان لن يتمكن من الحضور. لم تقل انها تشعر بخيبة أمل من جراء ذلك، ولكن ملامح وجهها بدت متوترة بعض الشيء.

أعجبت ثيا بتلك البادرة الطيبة تجاهها، وشعرت بأنها تقوي أواصر التعاطف والصداقة التي قامت بينهما منذ اللحظة الأولى. اخبرتها السيدة موراي أثناء تبادلهما الأحاديث الودية، انها تعتني بأختها شبه المقعدة. وقالت انها لم تتمكن من تركها في هذه الفترة، للحضور الى دروملاريج، الا لأن بعض أقرباء زوجها الراحل وافقوا على البقاء معها. ثم أضافت قائلة:

ـ كنت متشوقة جداً لرؤية جايمي، الذي يحزنني كثيراً انني لا أراه بالقدر الذي أريده وأتمناه.

تدخلت مارثا قائلة، بعد ان كانت طوال الوقت غارقة في سبات عميق:

ـ هذا أمر طبيعي للغاية، وبخاصة لأنك كنت دائماً تحبين الأطفال. هل تذكرين، يا سيدة موراي، تلك الشابة التي استضفتها مرة؟ رفضت آنذاك رفضاً قاطعاً مطالبتها بالرحيل، حتى عندما علمت بأنها حامل وستشكل عبئاً كبيراً عليك. وأذكر جيداً مدى تعلقك بتلك الطفلة، ومساواتها بأولادك من حيث المحبة والعناية والرعاية.

قامت ثيا من مكانها بسرعة، لاخفاء شحوب وجهها وارتعاش جسمها متظاهرة بملء ابريق الشاي مرة أخرى. ولكنها لاحظت ابتسامة حزينة على وجه السيدة موراي وهي تقول:

ـ كانت طفلة رائعة للغاية، وقد أحببتها حباً جماً. وأعتقد ان ازدياد تعلقي بها، كان مرده الى ان الله عز وجل لم يمنحني ابنة من لحمي ودمي.

ـ أوه، كيف كانت تتبع السيد لوجان كظله!

تنهدت السيدة موراي وقالت:

ـ كان صبوراً معها الى درجة مذهلة، ومثيرة للدهشة. لم يكن لوجان يوماً شخصاً ذا أعصاب هادئة ويتحلى بالصبر، الا مع الأطفال والحيوانات

الصغيرة. . . مع المخلوقات الصغيرة الضعيفة التي لا تجد من يساعدها.

تحولت نظراتها بشكل عفوي نحو ثيا، التي كانت تضع الابريق على النار، وأضافت:

ـ لا أعتقد انه تغير كثيراً كما كنا نتصور يا مارثا.

مضى يوم العيد بصورة طبيعية للغاية، ودون ان تعكر صفوه أي مشاكل او احتكاكات. شارك الجميع في تحويل ذلك اليوم، الى يوم سعادة وبهجة وهناء. أصرت السيدة موراي منذ البداية، على اعفاء ثيا من مهمة العمل المتواصل في المطبخ. سرّت ثيا كثيراً لرفع هذه المسؤولية الكبرى عن كاهلها، وبخاصة لأنها عملت تحت اشراف سيدة تحبها وتحترمها.

تناول الجميع فطور الصباح، فجمعت ثيا الصحون والأكواب. . . ثم ذهبت الى غرفتها لاحضار هدايا العيد. وبما ان السيدة موراي كانت سباقة في هذا المجال وأعطت جايمي هديته، فقد شعرت ثيا بالارتياح لأنها لن تخطف الأضواء من أحد. وكما كان متوقعاً، أخذ جايمي يقفز فرحاً عندما أعطته الراديو والقطار الكهربائي. . . ولم يعرف بما سيبدأ لشدة سروره وسعادته. وقد اضطرت ثيا لتذكيره بأهمية الكتب والألعاب التربوية، التي أهدته اياها جدته.

فرحت مارثا كثيراً بهديتها، فيما وجهت السيدة موراي ابتسامة شكر حارة الى ثيا وهي تتقبل منها بامتنان علبة الحلوى. اما لوجان، فقد نظر بسرعة الى جواربه. . . ولم يقل شيئاً. وعندما جاء دوره لتوزيع هداياه، لاحظت ثيا بدهشة انها غالية الثمن. ثم لاحظت ايضا، وياسى وخجل بالغين، انه لم يحضر لها اية هدية على الاطلاق. أغرورقت عيناها بالدموع، فتمتمت بكلمات قليلة عن اضطرارها للذهاب فوراً الى المطبخ. . . وخرجت بسرعة. لحق بها لوجان، وأوقفها صارخاً:

ـ ثيا!

ـ لدي أعمال كثيرة، يا لوجان.

ـ في هذه اللحظة بالذات؟! لا يمكن!

أمسك بها وأدارها نحوه بقوة، ثم رفع وجهها نحوه وقال:

ـ لقد آلمتك، أليس كذلك؟

ـ قليلا.

تمتم ببضع كلمات لم تفهمها، وقال:

ـ انك شابة مذهلة، يا ثيا آندروز! كنت مخطئة طوال الوقت، ومع ذلك تتمكنين من حملي على الشعور بأنني قاس متوحش. . . وهذا ما لا أحبه اطلاقاً.

لم تقم بأية محاولة للدفاع عن نفسها، فمضى الى القول باللهجة الحادة ذاتها:

ـ أنا أدرك، يا صغيرتي، انك وحيدة في هذا العالم. . . وأتصور انك كنت تتوقعين يوماً مليئاً بالهدايا والكلمات الحلوة الفارغة. تأكدي، أيتها الجميلة الحمقاء، انني تخليت عن هذه الأمور كلها منذ فترة طويلة.

انهمرت الدموع الحارة من عينيها الحزينتين وقالت له بصوت ضعيف مرتجف:

ـ آسفة! كنت استحق ذلك، فأنا حقاً حمقاء وغبية و. . .

بدا انه تأثر فجأة من جراء ضعفها وتألمها، فضمها الى صدره ليخفف عنها. . . وكأنها ابنه الصغير. ولكن ارتعاش شفتيها القرمزيتين وغرق عينيها في الدموع كانا بالتأكيد أبعد من توقعاته. أحنى رأسه فجأة، وجذبها بقوة، كأنه يأخذها بذراعيه الى الأبد. وتردد داخل رأسها في تلك اللحظة صدى كلماته التي قالها في مناسبة سابقة، حين جلس بقربها على السرير. رفع رأسه، فلم تحاول اخفاء فرحتها وسعادتها، او ابعاد يدها التي صعدت الى وجهه. . . وهي تقول له:

ـ لوجان، هذه اجمل هدية. . .

ـ لوجان!

قفزت ثيا من مكانها وأبعدت نفسها عنه، عندما سمعت صوت أمه القوي. اما لوجان فقد استدار نحو والدته بهدوء مبالغ فيه، ووقف امام ثيا وكأنه يحميها بجسمه من أي سهام محتملة. ثم قال:

ـ نعم، يا أمي.

كانت لهجته قاسية وباردة، وتنذر المخاطب بعدم التحدث عن مواضيع حساسة. خافت امه من تلك اللهجة، كما كانت تخاف منها ثيا كلما

استخدمها معها، ولم تعلق على المشهد الذي فوجئت به... بل قالت له بعد تردد مزعج:

- أردت الاتصال بزوجة أخيك، جودي. أعرف انها لا تمضي الأعياد الا مع أهلها وأصحابها، ولكنني شعرت ان من واجبي الاتصال بها لأتمنى لها عيداً سعيداً.

أجابها لوجان بلهجة عادية جداً، لا تدل على الارتياح لتدخلها المفاجىء او على الاستياء منه. قال لها:

- ابلغيها تحياتي.

ثم أمسك بيد ثيا، وأضاف قائلا:

- ثيا وأنا سنعود الى المطبخ ونبقى مع جايمي، لحين انتهائك من مكالمتك الهاتفية.

ارتدت ثيا مساء اليوم نفسه فستانها الوردي الطويل، وسرحت شعرها الأشقر الجميل حتى أخذ يشع ويتلألأ. ومع ان السيدة موراي ومارثا قالتا لها انها تبدو رائعة الجمال، الا ان لوجان لم يقل شيئاً... ولم يحاول الاقتراب منها مرة أخرى طوال تلك السهرة.

وفي اليوم الثالث للعيد، اتصل سام ريتشاردز بدروملاريج فردّت عليه ثيا... لأن لوجان موجود في المزرعة، وأمه وابنه يقومان بنزهة قرب البحيرة. بدا الرجل لطيفاً جداً، فلم تتمكن من حمل نفسها على عدم التحدث معه. اعتذر منها عن الحادث الذي تسبب فيه، وتمنى ان تكون قد تعافت تماماً. ثم أبلغها بأنه حاول الاتصال بها للاعتذار اليها شخصياً، ولكن لوجان قال له انه شخص غير مرغوب فيه.

انتظر دون جدوى سماع التعليق، الذي لم تجرؤ ثيا على التفوه به، ثم سألها عما اذا كانت ترغب في مرافقة لوجان ووالدته الى الحفلة الراقصة التي سيقيمها والداه في الليلة المقبلة. وفيما حاولت ثيا بارتباك شديد معرفة مدى العلاقة القائمة بين الرجلين، سمعته يضيف قائلا:

- ألم ينقل لك لوجان هذه الدعوة؟

وعدته بالتحدث مع لوجان في هذا الأمر، وشكرته على مكالمته الهاتفية. وبعد ان أعادت السماعة الى مكانها، أحست بالاستياء والغيظ

الشديدين. ستسأله عن هذا الموضوع، بمجرد عودته من الحقل. لماذا لم يذكر لها شيئاً عن هذه الدعوة؟ ربما لا يعرف انها راقصة جيدة وتحب الرقص كثيراً، ولكن كان عليه الافتراض بأنها شابة في مقتبل العمر وتحب التمتع بسهرة عائلية من هذا النوع بين الحين والآخر. وبما انه طالبها بالرحيل، فلماذا يعترض اذن على اتصالها برجل آخر؟ لن تنتظر عودته، بل ستذهب اليه... حالا.

سارت على الثلج بعض الوقت حتى وجدت لوجان، الذي كان يهتم بقطيع من الماشية قرب مصب النهر. رفع الرجل رأسه نحوها ولم يقل شيئاً، بل راح يتأملها بعينين ساحرتين. قالت له بهدوء:

- اتصل السيد ريتشاردز مرة أخرى للاعتذار، ثم دعاني الى الحفلة التي سيقيمها والداه غداً.

- وسألك بالطبع عن السبب، الذي دفعني الى عدم ابلاغك الدعوة السابقة؟

هيمن على تفكيرها ومشاعرها، وأنساها سام ريتشاردز والحفلات وكل شيء آخر. قالت له بصوت حزين الى حد ما:

- كان يمكنك على الأقل، اطلاعي على بعض ما ورد في حديثكما عن دعوتي الى الحفلة. انها فترة أعياد، أليس كذلك؟

- لا بد لأحد ان يبقى مع جايمي للاعتناء به.

لم تكن مهتمة كثيراً بالحفلة، بقدر اهتمامها بالوجود مع لوجان... لتتذكر تفاصيلها في المستقبل كلما أرادت التفكير به. ستحاول مرة أخرى! قالت له:

- قد تأتي زوجة اخيك، وتبقى معه!

- ستذهب جودي الى الحفلة، وقد وعدتها بأن أمر لأخذها الى بيت ريتشاردز.

نظرت الى وجهه القاسي بعينين حزينتين بائستين، وأخذت تتصوره وهو يراقص جودي... ويضمها الى صدره... و...! لم تعد تتحمل التفكير بهذا الموضوع، فحبها له جنوني عاصف. تحول الحزن فجأة الى غضب عارم، فصرخت به دون وعي او تفكير:

ـ أكرهك! أكرهك، يا لوجان موراي! لا، إنك تفكر في وضعك الاجتماعي، ولن يكون مناسباً الذهاب الى أية حفلة من هذا النوع... مع خادمتك!

صرخ بها بحدة مماثلة، قائلا:

ـ أيتها العبية الصغيرة! هل ستتمتعين حقاً بنظراتهم وملاحظاتهم وتعليقاتهم؟ لم أكن لأمانع، لو كنت متقدمة في السن وقبيحة الشكل. ولكنك شابة في مقتبل العمر وجميلة جداً.

لا، لا يمكن ان يكون هذا هو السبب الحقيقي! انه لا يريد أحداً ان يتهمه باقامة علاقة مع مدبرة المنزل، وخاصة بحضور جودي. ألم تلمح جودي، الى انها قد تصبح زوجته الثانية؟ ألم يعترف لها هي شخصياً بأنه متضايق جداً من عدم بقاء أية مدبرة منزل اكثر من فترة قصيرة؟ سمعته يذكرها فجأة بموعد رحيلها، قائلا:

ـ ستغادرين دروملاريج خلال يوم او يومين بعد ذهاب والدتي، فلماذا هذه التكهنات السخيفة؟

ـ أنت على حق، فلا جدوى من ذلك اطلاقاً.

ـ انتظري حتى انتهي من اطعام الماشية، كي تعودي معي في هذا الجرار الزراعي.

أنهى عمله بعد قليل، ثم اقترب منها وسألها:

ـ هل تفضلين الجلوس في المركبة المقطورة؟ قد تجدينها افضل من الجرار.

حدقت به بتحدٍّ واضح، وقالت له بمرارة:

ـ تعني انها افضل من الناحية الاجتماعية، أليس كذلك؟

ـ لا تكوني حساسة جداً، يا ثيا. فالتنازل قليلا عن شكليات معينة، ثمن بسيط جداً بالنسبة للمكاسب التي قد يحصل عليها الانسان في وقت لاحق. ستظل سمعتك نظيفة وناصعة كالثلج، ومن يدري... فقد يدعوك ريتشاردز مرة أخرى، وفي مناسبة خاصة.

ـ لست بحاجة الى نصائح او ارشادات، يا لوجان. كما لا أنوي أبداً قبول دعوة من السيد ريتشاردز، او شكره على هذا الشيء او ذاك. كل ما

في الأمر، انني اعتبرت اتصاله للاعتذار ثم لتوجيه دعوة تصرفاً لطيفاً ولائقاً. على أي حال، سأتصل به بمجرد عودتي الى البيت لأقول له انني لن أحضر حفلته.

ظهر الارتياح على وجه لوجان، ولكنه لم يبتسم... بل حذرها قائلا:

ـ لا، لا تفعلي ذلك. الأفضل ان نذهب نحن وحدنا، ونتجاهل الموضوع تماماً.

احتجت ثيا بعناد، قائلة:

ـ لقد تعلمت منذ صغري ان اللياقة والتهذيب، يفرضان ابلاغ الناس بالرفض او القبول.

ـ أحياناً! ولكن، كيف ستبررين رفضك في مثل هذه الحالة؟

ظهرت خيبة الأمل في نظراتها، وهي تشاهد في عينيه ذلك النوع من التحدي الذي لا تعرف كيف تعالجه او تواجهه. قال لها بصوت هادىء:

ـ ابتسمي، فالأمور نادراً ما تكون سيئة كما تبدو لأول وهلة.

لم تكن متأكدة من ان حبها له غير واضح في نظراتها وملامحها، فقالت له بحدة:

ـ لست مضطرة لسماع أية قصص خيالية!

ـ ألا تعجبك مثل هذه القصص؟

ـ لا، ليس كثيراً.

ـ سأثبت لك اذن ان بعضها مبني على وقائع، وان شابة مثلك يجب ألا ترفضها هكذا.

ـ لن يكون لديك الوقت الكافي لذلك، فسوف أترك دروملاريج قريباً.

اختفت من وجهه ملامح السخرية القاسية، فشعرت بالدهشة. حملها بشيء من العصبية ووضعها في المقطورة، ثم قال:

ـ صحيح، صحيح تماماً!

قفزت من المقطورة بعد بضع مثات من الأمتار، فبدا وكأنه علم مسبقاً بنواياها. أوقف الجرار بسرعة، وقفز وراءها. أمسك بها ثم حدق بها طويلا، وقال لها... فيما كانت ترتجف خوفاً وانفعالا:

ـ ثيا! لم أشكرك بعد بطريقة صحيحة، على تحويل الاعياد الى أيام

سعادة وهناء. لا تحظى هذه الفترة بأهمية بالغة عندنا هنا، ولكنني تمتعت كثيراً بالعيد هذه السنة.

- هذا من دواعي سروري.

- لم أشرح لك ايضا سبب غضبي، عندما وزعت هداياك على الجميع.

لم يزعم على الأقل انه لم يكن غاضباً! قالت له:

- لا يهم الآن، وأنا...

رفع يده بتكاسل واضح لينظف شعرها من القش الذي غطاه، فخفق قلبها وارتعش جسمها قليلا. هذه هي المرة الثانية خلال أقل من ساعة، يحاول فيها مسايرتها وادخال الرضى الى نفسها. نظرت اليه بأسى، لأنها لم تتمكن من اكمال جملتها عن الرحيل المرتقب، فلاحظت انه يختار كلمات جملته التالية بدقة وعناية. ثم سمعته يقول:

- أنا لست غبياً، يا ثيا، وأكاد أعرف تماماً المبالغ التي انفقتها خلال هذه الفترة القصيرة.

- لم أنفق الا... الا من مالي الخاص.

- أنا لا أقول انك سرقت هذا المال، ولكنني فهمت منك انه لم يعد لديك أي...

احمرّ وجهها قليلا، وهي تقول له متمتمة بتلعثم وارتباك:

- لا، ليس بشكل تام. حصلت... حصلت على... مبلغ ضئيل... في لندن، قبل مجيئي.

- لن أسألك كيف فعلت ذلك.

ابتعدت عنه فجأة، وهي تشعر بأن نظراته تخترق هذا القميص الرقيق الذي ترتديه. لماذا ينظر اليها هكذا وكأنه يتهمها؟ قالت له بانفعال واستغراب شديدين:

- انت لا تصدقني...!

وجه اليها نظرات ساخرة باردة، وهو يقاطعها قائلا:

- أنا دائماً شديد الحذر مع الغرباء، ولكنني أتفهم أوضاعهم بعقل منفتح. أنت شابة جذابة للغاية.

لم يقل شيئاً معيناً ومحدداً، ولكن المغزى كان واضحاً تماماً بالنسبة لها

معاً. أغمضت عينيها بقوة، لمنعها من البكاء، وقالت له بحزن ساخط:

- أعتقد انني لن أغفر لك أبداً هذا الكلام!

ظل لوجان محتفظاً بهدوئه، ثم وضع يده بنعومة على وجهها وقال:

- بشرتك ناعمة بشكل مذهل، وكأنها حرير صاف او وريقات زهرة رقيقة. واللون يختفي ويعود بالسرعة ذاتها، من هاتين الوجنتين الجميلتين، وبخاصة عندما تكونين متضايقة مني. هل أحببت من قبل، يا ثيا؟

- أدهشها هذا السؤال الذي لم تكن تتوقعه، وأذهلها رد فعلها الذي حاولت جاهدة ادخال التحدي العنيف اليه. سمعت نفسها تقول بضعف وارتجاف:

- من قبل؟ هل كانت هاتان الكلمتان ضروريتين؟ وهل كنت أتخيل فقط، انك ترددت قليلا؟

- لا!

لم يعجبها الاحساس بالخوف من خطر فقدانها السيطرة على ردود فعلها، فنظرت اليه بذهول تام. شعرت برغبة قوية تجاهه، ولكنها أصرت على الاحتفاظ برباطة جأشها. أحست بأنه يعاقبها على أمر لا تفهمه تماماً، وعليها بالتالي مواصلة التحدي بكامل قوتها. بذلت جهداً أكبر للسيطرة على نبرتها ولهجتها، وهي تضيف قائلة:

- لا! ثم... لن تصدق على أية حال انني لم أعد صغيرة على الحب.

- لن أتمكن من معرفة حقيقة تفكيرك، قبل اقتناعي شخصياً بأنك ناضجة الى درجة كافية.

هزت كتفيها، وكأنها غير راغبة في متابعة هذا النقاش العقيم، ولكنها ظلت تتأمل صدره وجسمه... وهي خائفة من انه قد يتمكن من قراءة أفكارها. وتابع قائلا:

- لن أقول أي شيء آخر، يا ثيا، عن الهدايا التي اشتريتها أنا. من الواضح انك أرهقت نفسك وجيبك الى درجة كبيرة لابتياعها، وأشعر بالأسف لأنني أفسدت بعض متعتك في تقديمها. ولكن، لا تفعلي ذلك مرة أخرى!

- بما انني ذاهبة، فلن تسنح لي فرصة ثانية... أليس كذلك؟

ابتعدت عنه وسارت باتجاه البيت، حزينة متألمة. وبمجرد اقترابها قليلا، شاهدت جايمي يركض نحوها ويقول لها بسعادة بالغة:

- قمت وجدتي بنزهة رائعة جداً، وقالت لي ان بامكاني الذهاب الى العاصمة لتمضية ايام معها... اذا كنت راغباً في ذلك. انها تعتقد انني أصبحت كبيراً بما فيه الكفاية، لأتفهم بعض الأمور الهامة... كالقلعة والمتحف وغيرهما. وتعتقد جدتي ايضا انني بحاجة الى بعض هذه الرحلات القصيرة خلال العام الحالي، وبخاصة لأن والدي قد يرسلني الى مدرسة داخلية في العام المقبل.

مدرسة داخلية! تأثرت ثيا كثيراً، لأنها تعرف معنى ذلك بالنسبة لصبي صغير. ولكن... ماذا يمكنها القيام به، للحيلولة دون حدوث ذلك؟ لا شيء اطلاقاً! نظرت اليه، وهي تحاول الابتسام له، ثم قالت:

- كلام جدتك منطقي جداً، يا حبيبي، وأنا أعرف تماماً مدى حبها لك وتعلقها بك.

- لا مانع لدي أبداً من الذهاب معها، طالما انك ستكونين هنا لدى عودتي الى البيت.

لم تجرؤ على الاعتراف له بعكس ذلك، حاولت اخفاء حزنها وتعاستها بامساك يده وادخاله معها الى البيت... وهي تتظاهر بالضحك قائلة:

- أوه، جايمي! هيا بنا!

لم يلاحظ أي منهما وجود لوجان، الذي كان واقفاً على بعد خطوات قليلة وراءهما، ولم يتمكنا بالتالي من مشاهدة الملامح القاسية العابسة التي ظهرت على وجهه!

٨- اثناء عودتهما من وداع السيدة موراي عرّج بها الى مطعم ليخبرها بأنها لن تذهب، لأنه ينوي الزواج منها. تردّدت في بادىء الأمر لأنها لم تكن تعلم مدى حبّه لها.. ثم وافقت لأنها كانت متأكدة بأنها ستحوّل هذا التجاذب بينهما، الى حب كبير.

امضت ثيا بعض الوقت مساء اليوم التالي، في مساعدة السيدة موراي قبيل ذهابها الى الحفلة. وكانت السيدة الوقور متحمسة جداً، بحيث دأبت على اضاعة شيء او نسيان آخر. وعندما اصبحت مستعدة وجاهزة للذهاب، قالت لها:

- ما كنت لأتمكن ابداً من اعداد نفسي على هذا النحو، لولا مساعدتك لي، يا ثيا. اتمنى لو انك تأتين معنا. قلت لابني ان ما من احد سيجد الامر مستغرباً، ولكنه قال لي ان السبب الحقيقي في عدم مرافقتك لنا هو على ما يبدو رغبتك في البقاء مع جايمي. ليتني تذكرت ذلك في وقت مبكر، لأنه كان بامكاني استدعاء احد من القرية ليقوم بهذه المهمة عنك. لا يزال

هناك عدد كبير من الاشخاص، الذين يسعدهم تقديم أية مساعدة تطلبها عائلة موراي.

ضحكت ثيا، متظاهرة بالمرح والارتياح لاقناع السيدة موراي بانها ليست مستاءة من عدم قدرتها على الذهاب الى الحفلة، وقالت:

ـ لا تقلقي، فأنا حقاً لا اريد الذهاب الى الحفلة... كما ان جايمي يفضل البقاء معي.

ثم اضافت قائلة، وقد توقفت عن محاولات ارغام نفسها على عدم ذكر الاسم الاول لابنها امامها:

ـ على اي حال، ستكون كتتك مع لوجان. واذا كان يعرف ان جايمي بخير، فسوف يشعر براحة تامة.

هزت السيدة موراي رأسها، ثم قالت بعد لحظات وجيزة امضتها في تفكير عميق:

ـ اعرف، بالطبع، ان جودي ستحضر الحفلة. واعرف أيضاً، ان لوجان يرهق نفسه بالعمل. اليس كذلك، يا عزيزتي؟

ابتسمت لها ثيا، وكأنها ترد عليها بالايجاب، فمضت السيدة الى القول:

ـ عندما توفي ابني الاكبر، صليت كثيراً لكي تظل دروملاريج بيد العائلة. ولكنني اعترف لك بصدق واخلاص، بانني لم اكن لاحلم ابداً بقدرة لوجان على الاحتفاظ بالبيت والأراضي لعائلة موراي. وعندما اقدم على تلك الخطوة الجبارة، شعرت بأن الله عز وجل استجاب لصلواتي. الا انني اتساءل مراراً منذ ذلك الحين، عما اذا كانت خطوته تلك تستحق مثل هذا العناء والكد والألم. هل تعرفين انني اشعر احياناً بالذنب، لمجرد اتمني لما حصل فعلاً؟

ـ يبدو انه يحقق نجاحاً في هذا المجال، يا سيدة موراي.

ـ نعم، وأتوقع ايضاً تحسناً كبيراً خلال عام او عامين. لا يطلعني لوجان على أموره وشؤونه، الا نادراً... وبصورة مقتضبة ومحدودة.

ـ حقاً؟ لماذا؟

تنهدت السيدة موراي، التي تستحق ان تكون موضع ثقة تامة لطيبتها

وتفهمها وحسن تصرفها، وقالت:

ـ افترقنا عن بعضنا فترة طويلة، مما ادى لحوء الحظ الى شيء من التحفظ والتباعد. فبعدما توفي زوجي وتسلم جايمس دروملاريج، ترك لوجان الجامعة وسافر الى الخارج. تزوج جايمس وجودي، فذهبت الى العاصمة لأقيم مع ابني الاصغر. ومنذ ذلك الحين، لم اتمكن من رؤية لوجان الا نادراً. انه بحاجة الى زوجة وليس الى أم، يا ثيا.

ثم ابتسمت بشكل ينم عن الحزن، ومضت الى القول:

ـ اذا تزوج مرة ثانية، فكل ما ارجوه ان يجد السعادة التي لم يعرفها مع زوجته الأولى كاي. لم يكن اي منهما مناسباً للآخر!

كاي! لن تنسى ثيا ابداً كيف تحدث معها لوجان في هذيانه، وهو يتصورها.. كاي! لماذا كان زواجهما تعيساً الى تلك الدرجة؟ هكذا فهمت من مارثا، ومن امه، ومنه شخصياً... ولا يعقل بالتالي انهم جميعاً مخطئون.

وقفت ثيا ومعها جايمي، لوداع لوجان والسيدة موراي. وعندما ساعد الرجل الوسيم الجذاب والدته على الجلوس في السيارة، وعاد جايمي الى العابه وكتبه، استدارت ثيا بهدوء لدخول المنزل واغلاق الباب. ولكن لوجان رجع نحوها وأمسك بخديها برقة ونعومة، ثم قال لها بصوت ناعم دافىء اثار استغرابها ودهشتها:

ـ انا ذاهب الى الحفلة، لأجل والدتي فقط. ولولا ذلك، لفضلت البقاء في البيت مع جايمي... ومعك.

قالت مارثا صباح اليوم التالي، ان ثيا تبدو وكأنها سهرت في الخارج طوال الليل. رفع لوجان رأسه وتطلع نحو ثيا، ولكنه لم يقل شيئاً. لا شك في انه لم ينم قط، بل استبدل ثياب السهرة وتوجه فوراً الى المزرعة.

لم تعلق ثيا على كلام مارثا المزعج، الذي اعتادت عليه، وسألت لوجان بتهذيب بالغ عما اذا تمتع بسهرته. حصلت منه على رد ايجابي مقتضب، فعادت الى عملها... مزيلة من رأسها تلك النظرة التي انطبعت فيه عندما قال لها تلك الجملة الرائعة مساء اليوم الفائت.

غادرت السيدة موراي دروملاريج ظهر اليوم التالي، وقد سمح لوجان

لجايمي وثيا بمرافقته ووالدته الى محطة السكك الحديدية في فورت وليام لوداعها. عانقتها السيدة موراي في المحطة فغصت ثيا وترقرقت الدموع في عينيها. لا تزال هناك اشياء كثيرة تريد التحدث بشأنها مع السيدة موراي، ولم تكن متأكدة من انها سترى هذه السيدة الطيبة مرة أخرى.

تركت لوجان وجايمي لتمضية الدقائق الأخيرة على انفراد مع والوالدة والجدة، وتوجهت الى مكتب سفريات للاستفسار عن أفضل وأسرع طريقة للذهاب الى لندن. ولدى انضمامها مجدداً الى الرجل وابنه، لم يسألها لوجان عما كانت تفعل... ولم تتبرع هي بابلاغه عما حدث. تصورت انه يعرف ويوافق، لأنه هز رأسه مؤيداً ومبتسماً.

اختفى القطار عن الأنظار، وتوقف جايمي عن التلويح بيديه، ولكن الألم الحاد كان يعصر قلب ثيا وفؤادها. فخلال ساعات قد لا تتجاوز العشرين، سوف تستقل قطاراً مماثلا... وترحل بعيداً عن... حبيبها.

فوجئت بلوجان يأخذهما الى مطعم فندق قريب من بحيرة رائعة. لم يسألها او يتشاور معها، وكأنها طفلان وليس طفلا واحداً! هل تشعر بالسرور والارتياح، ام بالغيظ والانفعال؟ وعما زاد في ذهولها وحيرتها، ان الفندق الذي اخذهما اليه بعد مغادرتهم فورت وليام كان فخماً للغاية ولا يأتي اليه على ما يبدو الا الأغنياء!

مضت بقية أيام الأسبوع بتثاقل مرعب، ولم يفاتحها لوجان في أي وقت بموضوع الرحيل. وفي مساء اليوم الثالث لذهاب السيدة موراي، وبعد ذهاب جايمي ومارثا الى النوم، دخل لوجان الى المطبخ... فأدركت انه يريد التحدث معها في أمر هام. قال لها:

- لا فائدة من التردد! انه امر لا يمكن تأجيله الى ما لا نهاية.

قامت من مكانها ولحقت به نحو المكتبة، خائفة... حزينة ومتضايقة. لم تتمكن من التحدث اليه، الا بعدما طلب منها اغلاق الباب وراءها والجلوس على أحد المقعدين الموجودين أمام طاولته.

قالت له:

- أليس من الأفضل ان أجمع امتعتي، وأغادر هذا البيت؟ أنا متأكدة من انه ليس لديك أي شيء تريد بحثه معي، باستثناء هذا الموضوع.

- ربما لا، فقد يتوقف الأمر عليك أنت. اجلسي.

لم تكن راغبة في الجلوس... بل في الذهاب الى غرفتها، استعداداً لمواجهة محنة الرحيل عن دروملاريج. لقد اصبحت هذه المنطقة عزيزة جداً على قلبها، وكذلك جايمي. ولكن لوجان أهم منهما معاً، وليست مستعدة بالتالي لسماع حديثه عن أفضل الوسائل الكفيلة بزيادة عذابها وأحزانها وآلامها. ظلت واقفة، على الرغم من احساسها بنفاد صبره، وسألته بهدوء:

- عندما تقول أن الأمر يتوقف علي أنا، فهل تعني انك تطالبني بالبقاء لحين تمكنك من ايجاد شخص آخر للاعتناء بجايمي؟

امسك بذراعها وجذبها نحو المقعد القريب من النار، ثم اجلسها على المقعد وقال:

- لا!

اضطرت الى رفع رأسها كثيراً، كي تتمكن من النظر اليه، وهو واقف قربها كالطود الشامخ. ماذا يعني هذا الرجل اذن؟ شحب لونها وفتحت فمها لتسأله، ولكنه قال لها:

- كنت تستفسرين عن مواعيد القطارات المتجهة الى لندن، عندما ودّعنا والدتي في المحطة؟

حدقت بألسنة اللهب، التي كانت ارق من نظراته، وقالت بصوت منخفض:

- نعم، سألت عن تلك الرحلات.

- ولكنك لا تريدين الذهاب فعلا، اليس كذلك؟

جملة أم سؤال؟ انتظرت حتى كرر الشق الثاني من كلامه، فهزت رأسها وقالت له... فيما لا تزال عيناها مركزتين على النار:

- صحيح، وانت تعرف ذلك يا... لوجان. لقد بحثنا كل شيء في اوقات سابقة، فلماذا...؟

لم يرفع نظره عنها، عندما قاطعها قائلا بلهجة كئيبة الى حد ما:

- لم نبحث كل شيء. انت تعرفين أسباب عدم تمكني من توظيف مدبرة منزل في مثل سنك، يا ثيا. ولكن... ما من شيء يحول دون اقدامي على

الزواج.

- الزواج؟

- نعم.

قفز قلبها من مكانه، ولكنها استخدمت عقلها بسرعة للسيطرة على قلبها وأحاسيسها. سيتزوج جودي بالتأكيد، ويطلعها الآن على مخططاته المستقبلية لئلا تقلق على مصير جايمي. انه يعرف مدى تعلقها بالصبي، ويحاول مشكوراً ايلاغها النبأ بأسلوب رصين هادىء. ارتجف جسمها حزناً وأسى، وقالت له:

- قررت اذن الزواج من زوجة اخيك، السيدة موراي؟

- هذه استنتاجات غير واقعية او عاقلة! من اين اتتك هذه الفكرة، يا ثيا؟ لا شك في انها تناسبني في مجالات عدة، ولكنها لا تفي اطلاقاً بالغرض الذي اسعى الى تحقيقه. ومن بين الاسباب الهامة التي تحملني على عدم التفكير بها كزوجة محتملة، ان جايمي لا يحبها.

نظرت اليه بسرعة، وهمست قائلة:

- اذن...؟

ظهرت ابتسامة خفيفة جداً على وجهه، فمضت الى القول بعصبية هادئة:

- لوجان؟ ارجوك، لا تعذبني!

تحولت نظراته الى شفتيها المرتعشتين، وقال لها بلهجة جدية اذهلتها:

- لم أكن أفكر بتعذيبك، أو أحاول ذلك. فأنا أطالبك أنت، بالزواج مني. وهل كنت تظنين انني أبحث موضوع زواجي، الا مع المرأة ذات العلاقة المباشرة بهذا الأمر الشخصي والهام؟

أحست ثيا بأنها ستفقد وعيها... وصرخت بصوت عال يخيم عليه الذهول والضياع:

- لا... لا! أنت تريد الزواج مني لأجل جايمي فقط، أليس كذلك يا لوجان؟

- لا، ليس لأجله كلياً، يا عزيزتي. فقد أثبت نفسك كمدبرة منزل عظيمة، بحيث إنني أشعر براحة كبيرة لم أعرف لها مثيلا من قبل.

وبزواجك مني، يمكننا حل عدد كبير من مشاكلي الداخلية والبيتية.

- ولكن الحياة ليست كلها مشاكل داخلية ومنزلية، يا لوجان. هل سأكون مثلا الزوجة الصالحة لك... في أمور ومجالات أخرى؟

حدق بعينيها الخائفتين لتقييم الخوف والتشكك، اللذين يرغمان جسمها على الارتعاش، ثم قال لها بهدوء:

- انت صغيرة السن بما فيه الكفاية، لكي تتكيفي مع أساليبي وأفكاري.

توقف لحظة، ليضيف بعدها قائلا بلهجة قاسية الى حد ما:

- لا يمكنك ان تكوني اسوأ من كاي.

- كاي؟ لا بد انك احببتها كثيراً!

وجه الى وجنتيها الحمراوين نظرة باردة جداً، وقال:

- لا، ويمكنك الاعتماد على صحة كلامي.

ارادت ثيا ذلك من صميم قلبها، ولكنها لم تقدر... فكلامه غير منطقي. سألته بتردد:

- لماذا تزوجتها اذن؟ لا شك في انه كان هناك سبب لذلك.

- لا، ليس بالضرورة. التقيت كاي في الخارج، فيما كنا نجوب مناطق غريبة. كان لدي هدف من تجوالي، ولكن كاي كانت تجوب العالم دونما اي هدف على الاطلاق. تحولت الصداقة الى روابط عاطفية، وحملت بالصبي. لم اكن اريد ذلك، وبخاصة لأننا بدأنا عندئذ في الابتعاد عن بعضنا... فكراً وروحاً وجسداً. وبما انها هي التي رفضت الزواج في المقام الأول، وأنا الذي اقنعتها به فلم ألم الا نفسي. أصبح دخلي جيداً في تلك الفترة، وبدأت أشعر بالقيمة الحقيقية لوجود البيت والعائلة والاستقرار. ولكن كاي لم تكن تريد أياً من هذه الأمور، فتركت البيت بمجرد ولادة جايمي. كنا نراها بين الحين والآخر، لأنها كانت تأتي... لطلب المال. أمضت معنا بعض الأحيان بضعة أسابيع متواصلة، ولكننا لم نعش معاً منذ ذهابها.

ارادت ثيا معرفة كل التفاصيل، وبخاصة لأنها لم تكن لتتصور أبداً ان آلام لوجان... تحزنها وتزيد من عذابها. فتحت فمها لتطلب منه التوقف

عن متابعة هذا الحديث المؤلم، ولكنه مضى الى القول... وكأنه مصمم على معاقبة حب الاستطلاع القوي في نفسها عن طريق اسماعها القصة بكاملها:

ـ غضبت كاي كثيراً، عندما بعت جميع ممتلكاتي في الخارج بهدف شراء دروملاريج. اتت الى هنا للاطلاع على ما حدث، لصب جام غضبها وحنقها، ولتقديم مطالب مالية لم اكن قادراً على تلبيتها. ولما اتت في المرة الأخيرة... كانت برفقة عشيقها، وقد قتلا بحادث سيارة اثناء ذهابهما الى لندن. سأكون منافقاً ومراثياً، اذا قلت انني لم اشعر بالارتياح لابتعادها عني نهائياً. ولكن الموضوع كله غير منطقي اطلاقاً، وانا لا ازال القي اللوم على نفسي.

ـ اعتقد انك ربما فعلت ذلك اكثر من مرة، بل مرات عديدة. كم كان عمر... كاي؟

ـ كانت تصغرني بأشهر معدودة.

ـ يجب تحميلها بعض المسؤولية، على الأقل، عما جرى لها.

ـ ربما.

ـ أنا آسفة، على أية حال.

ـ لا، لا تكوني آسفة أبداً! لقد اعتبرت ان من واجبي اطلاعك على هذا الأمر، قبل اتخاذك قرار الزواج مني.

وأضاف بلهجة قاسية:

ـ إذا قررت الموافقة، فقد يهمك بالتأكيد ان تعرفي منذ الآن بأنني تجاوزت مرحلة الحزن على زوجتي السابقة.

ترددت... فكلمة نعم هي إحدى أسهل الكلمات في أي لغة، ولكنها قد تكون أيضاً إحدى أكثرها خطورة. ومما زاد في ارتباكها وحيرتها، ان النعم في هذه الحالة بالذات مغرية جداً... ومفزعة جداً. لاحظ لوجان ترددها، فقال لها:

ـ لو كان لديك مكان آخر تذهبين اليه، أو حتى وظيفة جيدة معروضة عليك، لما كنت عرضت الزواج عليك. لننظر الى الأمور بهدوء وروية وتعقل، فأنت في وضع سيء يائس للغاية...! وصدقيني، يا ثيا، أنا

أدرك تماماً معنى ذلك. فاذا أمرتك الآن بمغادرة هذا البيت... اذا رميتك في الخارج، سأشعر بأنني أفعل ذلك مع جايمي.

لو كان يعرف ان لديها بيتاً، ومالاً أكثر بكثير مما لديه هو، لما عرض عليها الزواج. ستعترف له! لا، فذلك سيؤلمه الى درجة كبيرة! ستجد طريقة تسمح له بالاستفادة من مالها، دون علمه. لو ان شعوره نحوها يتجاوز الشفقة والرأفة... الى الحب، لكانت الآن في ذروة سعادتها. قالت له متلعثمة:

ـ انت... أنت لا تريد... بالطبع، زواجاً... زواجاً حقيقياً؟ سيكون... كما يوصف عادة... زواج مصالح.

ابتسم لها، ولكن بحزن وليس بمرح، وقال:

ـ هذا أمر أريدك تحليله ودرسه، بصورة جدية. فاذا قبلت الزواج مني، فلن يكون زواج مصالح.

ـ أنت لا تحبني، فكيف يمكن وصف الزواج المقترح بغير ذلك؟

ـ تحقق زيجات كثيرة نجاحاً كبيراً، حتى مع عدم وجود الحب.

ـ صحيح، ولكن...

ـ ثيا، لست قادراً على ان اعدك بذلك النوع من الزواج الذي يبدو انك تصورينه في عقلك... زواج صداقة ومصلحة، وغرفتي نوم منفصلتين.

ـ ولكن هذه الزيجات تحصل بين الحين والآخر.

ـ نعم، الا انها لا تنجح مع شخصين مثلنا... يتمتعان بصحة جيدة، وعقل سليم بعيد عن العقد والمشاكل النفسية.

ـ حقاً؟

جلس قربها وحدق بها طويلا، ثم قال لها بلهجة مقنعة:

ـ يمكنني، يا ثيا، ان اعدك بأكثر من ذلك بكثير. ولكنني رجل وأنت امرأة، ويوجد بيننا نوع من الجاذبية القوية... وهو ما تعرفينه بكل تأكيد.

ـ ولكننا... ولكننا لسنا حيوانين جائعين، يسعيان فقط الى اشباع نهمهما. انت لا تحبني.

ـ اذا كنت اشعر بأن هذه اللحظات الهامة هي مناسبة لا تصح فيها الا الصراحة التامة، فهذا لا يعني انني حيوان جائع... يا عزيزتي.

سألته مرتين عما اذا كان يحبها، فتجنب الرد المباشر... لأنه لا يحبها! انها تحبه ومستعدة للقيام بما يريد، اذا كان ذلك يسعده ويفرحه. الا ان العطاء قد يكون أصعب مما تتصور، اذا كان الرجل لا يحبها. سألته بصوت مرتجف:

- ماذا سيحدث لنا، اذا احببت امرأة أخرى؟

- لن يحدث ذلك اطلاقاً. أؤكد لك منذ الآن انني سأكون مخلصاً جداً، اذا طبقت انت المبدأ ذاته. والأفضل لك ان تفعلي ذلك، فيما لو قررت الزواج مني.

أوه، كيف يمكنها الزام نفسها بقبول الزواج منه... على الرغم من معرفتها الأكيدة بأنه لا يحبها؟ لن تتمكن من الموافقة الفورية، مع أن كل جزء منها يصرخ مطالباً بالقبول. أحست بأن عينيها تعكسان رغبتها المجنونة، فأبعدت نظراتها عنه. أمسك بيديها وأرغمها على النظر اليه، قائلا بحدة وانفعال شديدين:

- ثيا! اعتقد انك تريدين التفوه بكلمة نعم، وانك ترغبين في البقاء هنا... مع جايمي و... ومعي. ولكنني لا أفهم هذا التردد كله، فأنا لست أول رجل تعرفينه. لا تتصرفي معي، وكأنك فتاة لم يلمسها أي رجل من قبل.

- أكرهك! أكرهك، يا لوجان موراي!

- قد يكون من الأفضل لك التزام جانب الهدوء والسكينة، بدلا من ارهاق نفسك بمشاعر وهمية وأحاسيس خيالية. هل تعتقدين حقاً ان لدي الوقت أو الصبر الكافيين، للاهتمام بفتاة صغيرة بريئة؟ أنا أريد امرأة مستعدة لمنحي ما أريد، دونما أي تردد أو تعقيد أو ضجة.

لن تجرؤ أبداً على الاعتراف له، بأن خبرتها كلها تقتصر على بضع قبلات بريئة. شحب وجهها، فمضى لوجان الى القول:

- سأعدك بشيء هام للغاية، يا ثيا. اذا التزمت بالشرط المتعلق بك في هذه الصفقة، فلن تضطري ابداً بعد الآن لتجوبي الشوارع والطرقات بحثاً عن بيت ومأوى.

- ما تقوله الآن يوحي بأنك تريد امرأة تمارس الحب معك، وتنجب لك

المزيد من الأولاد، وتهتم ببيتك... ليطمئن بالك في هذه المجالات الثلاث، وتتمكن من التفرغ لعملك!

حدق بها بضع لحظات بعينين تقدحان شرراً، ثم قال لها بلهجة جافة قاسية:

- يبدو انك ادركت فحوى الموضوع بذكاء ومهارة، مع ان طريقة حديثك كانت أكثر قساوة من الواقع ذاته. لا بد لي من التشديد على امر هام للغاية، وهو انني لست يائساً الى الدرجة التي تصورينها في عقلك. لو لم تكن المسألة ضرورية بالنسبة لجايمي، لما عرضت عليك هذه الفكرة في المقام الأول. ثم... أنا لا أستخدم القوة أو الارغام معك، فالأمر يتعلق بك كلياً... والقرار النهائي عائد اليك وحدك دون سواك.

لن تتحمل الحزن والألم، اللذين سينجمان عن الابتعاد عنه. اغمضت عينيها، وقالت:

- حسناً، أنا أقبل.

طبع قبلة خفيفة على شفتيها، وكأنه يضع توقيعه على اتفاق او صفقة تجارية. شعرت برغبة هوجاء لتطويق عنقه وضمه اليها بقوة وعنف، ولكنها بذلت جهوداً مضنية للسيطرة على هذه المشاعر المحمومة. ومع ذلك، فقد احست بالأرض تتمايل تحت قدميها... وبالسعادة تنبعث في داخلها. ثم سمعته يقول، وكأنه يتحدث من بعيد:

- هل انت متأكدة تماماً، من انك تعرفين ماذا تفعلين؟ لن اسمح لك بالعودة ابداً، اذا تركت هذا البيت!

- لن افعل ذلك. وعدتك لتوي بالقبول، ولن احنث بالوعد اطلاقاً. انا لا اغش أو أخدع.

اضعفتها الحرارة المنبعثة من جسمه الملتصق بها، فارتعش جسمها بقوة وقفزت الى الوراء خائفة مذعورة. امسك بها ثانية بنفاد صبر واضح، وقال لها:

- اذا كنت ترتعشين وترتجفين هكذا الآن، فقد يكون من الحكمة ان نعيد النظر في قرارك.

- هل يمكنك منحي بعض الوقت؟

- كم من الوقت تريدين؟ سنة أشهر؟ وستة أخرى بعدها؟ ثم سنة ثانية؟ لست في وضع يسمح لك بالمراوغة أو المماطلة، يا صغيرتي. فاما نعم أو لا، وأريد معرفة الجواب الآن!

لا بد لها من القبول الفوري والتام، فليس بامكانها أبداً رفضه أو الابتعاد عنه. لوجان... جايمي... دروملاريج! هل تقدر على مقاومتهم جميعاً؟ انهما أكثر شخصين تحبهما في هذه الدنيا، كما ان دروملاريج اصبحت في نظرها أجل بقاع الأرض. هنا حياتها، وهنا مستقبلها، وستحاول بعد الزواج تحويل لوجان الى رجل جديد... واعادة البسمة الى وجهه وعينيه. واذا عملت جاهدة على ارضائه، فقد يتحول شعوره نحوها الى... الحب. واحست فجأة بان المستقبل لم يعد يبدو قاتماً، فابتسمت وقالت:

- نعم. نعم، انا متأكدة تماماً من انني اريد الزواج منك، يا لوجان... اذا كنت فعلا تريدني زوجة لك.

اتصل لوجان بوالدته صباح اليوم التالي لابلاغها النبأ، فغمرتها الفرحة والسعادة وقالت انها كانت تصلي لحصول ذلك. وعندما علم جايمي بالأمر، راح يقفز بسرور بالغ بين ثيا ووالده... ويعانق كلا منهما المرة تلو الأخرى.

ذهب الثلاثة بعد أقل من أسبوع الى العاصمة، ليجدوا السيدة موراي في أستقبالهم. فرحت ثيا كثيراً بالترحيب العاطفي الحار الذي لقيته من التي ستصبح حماتها بعد يومين فقط، فكادت دموع البهجة والسعادة تنهمر من عينيها. لم تكن لتصدق ابداً انها ستحظى بمثل هذا القبول الفوري والتام، وتصبح... مرة أخرى... وبعد خمس عشرة سنة... جزءاً لا يتجزأ من هذه العائلة الطيبة العريقة!

أرادت ثيا ان تعود بعد حفل الزواج مباشرة الى دروملاريج، ولكن لوجان اصر على ذهابهما بضعة أيام الى لندن. اشترى لها فستاني سهرة جميلين جداً، وبضعة أشياء أخرى. وعندما وصلا الى العاصمة البريطانية، أخذها الى أحد أحدث الفنادق وأفخمها. سألته بصوت خائف الى حد ما:

- هل انت متأكد، يا لوجان، انك قادر على تحمل هذه النفقات الباهظة؟ اعني... اعني انه كان بالامكان اختيار فندق آخر، تكون تكاليف الاقامة فيه أقل بكثير من هنا.

- لا بأس، فنحن لن نظل هنا وقتاً طويلاً.

- لم اقصد ان ابدو ناكرة للجميل، فكل فتاة تحب مثل هذه الرفاهية.

وضع يديه على كتفيها وادارها نحوه، فحاولت الابتسام مرة أخرى ولكنها فشلت. قالت له ان لندن تبدو كقفير نحل، فأجابها بأنهما لن يشعرا بضجيجها وحركتها. علقت على رده بالقول:

- لن يكون لدينا وقت كاف.

- سيكون لديك انت على الاقل الوقت الكافي، لمعرفة ما اذا كنت ستحبين فكرة الزواج مني ام لا... يا سيدة موراي! سأستحم الآن بسرعة، ليصبح الحمام بعد ذلك تحت تصرفك ورهن أمرك ومشيئتك.

طبع قبلة خفيفة على فمها، ودخل الى الحمام المشترك الذي يجمع بين الغرفتين المنفصلتين في ذلك الجناح الفخم. تأملت الغرفة الرائعة بضع لحظات، ثم فتحت حقيبتها وأخرجت معطف الحمام الجديد الذي أشتراه لها. وفيما كانت تتذكر معطفه الذي ارتدته في اليوم الأول لوصولها الى دروملاريج، عاد لوجان فجأة وهو يلف النصف الأسفل من جسمه العاري بمنشفة كبيرة. ارتبكت كثيراً، وقالت له بضع كلمات بتلعثم واضح ثم هرعت نحو الحمام.

ستمنحه وقتاً كافياً لارتداء ثيابه، استعداد لذهابهما الى المطعم لتناول العشاء. جففت جسمها بعد الانتهاء من الحمام، ثم ارتدت المعطف وعادت الى الغرفة. فوجئت به يجلس على حافة السرير العريض، مرتدياً سروالا قصيراً ويقرأ صحيفة مسائية. لماذا لم يذهب الى الغرفة الأخرى؟ حولت نظراتها الخجولة ووجنتيها الحمراوين عنه، قائلة:

- سأرتدي ثيابي.

- لماذا العجلة؟

اقتربت منه لتأخذ فستانها من الحقيبة، فوضع الصحيفة جانباً وأمسك بها قائلا بنعومة:

ـ تعالي الى هنا، يا ثيا..

لجأت الى مقاومته قليلا، فهب واقفاً كلمح البصر. حدق بها قليلا، وقال:

ـ الا تدركين مدى جمالك وروعتك؟ أكاد افقد صبري! ماذا تريدينني ان افعل لكي أبعد خوفك مني؟

حاولت التظاهر بالضحك، وهي تقول:

ـ لوجان، انا خائفة!

ـ وانا ايضاً، يا ثيا! كم اود منحك الوقت الذي تريدينه وتحتاجين اليه، ولكن جاذبيتك وجمالك يجعلان ذلك امراً مستحيلا. لن اتمكن من الانتظار طويلا!

ـ ارجوك! ارجوك!

بدا لوجان وكأنه أصم وأبكم، فيما أخذها الى صدره برفق وحنان... أحنى رأسه فوق وجهها. ارتعش جسمها بين يديه وذراعيه، ولكن الخوف ابقى شفتيها مطبقتين كبوابة حصن منيع. ارادت ان تقاومه حتى النهاية وتحول دون اقتحامه اسوارها، ولكن احساساً غريباً حذرها من متابعة ذلك. لقد وعدته، وعليها الوفاء بوعدها. لم تكن صادقة تماماً معه في أي شيء حتى الآن، وعليها ألاّ تضيف الى ذنوبها أمراً هاماً... هو محاولة ثنيه عن الحصول عما هو حقه المكتسب. الم تتزوجه؟ أليست الآن زوجته؟ ثم... هل تريد حقاً ابعاده عنها في مثل هذا الوقت؟

رفعت يديها وطوقت جسمه، فيما كانت تردد اسمه بصوت هامس مرتجف:

ـ لوجان، لوجان...

٩ ـ تركها في لندن وعاد وحده، بعد ان عرف عن طريق جيري، انها تملك مالاً وشقة، وانها كانت تخدعه طوال الوقت... قلقت لابتعادها عن دروملاريج... وفوجئت به يتصل بها ذات يوم ليقول لها ان جايمي كسر رجله ويصرّ على عودتها.

لم يكن لوجان بحاجة الى اكثر من ذلك التشجيع، فضمها اليه وجعلها تدرك انه يرغب بالاحتفاظ بها. وعندما لاحظ ترددها وعدم تأكدها من نفسها، قال لها بصوت عميق:

ـ لا تمانعي او تكافحي، يا ثيا. لم أكن أنوي الاقدام على هذا الأمر، بمثل هذه السرعة. الا ان العقل لم يعد قادراً على التحكم. بعواطفي الصادقة، فأنت تثيرين مشاعري بشكل مذهل.

ارتعشت شفتاها... وخف تصلبها وتوترهما، وبدأت تشعر بأنها تلوب وتغرق تحت وطأة شخصيته القوية. تأججت النار في داخلها، فيما كان عذاب المتعة الناجم عن تحوّله المفاجيء يضعف مقاومتها. وفجأة،

وجدت نفسها تتجاوب معه بعنف مماثل... وبرغبة جامحة مشابهة. وراحت تردد اسمه بصوت خافت دافىء، كلما سنحت لها الفرصة بالتنفس. ثم سمعته يقول لها، بصوت اشبه بالزئير:

ـ اريدك... أريدك جداً، يا ثيا. اكاد اجن واحترق كلما فكّرت بالابتعاد عنك!

ارادته هي أيضاً... وقررت اطلاق العنان لكافة رغباتها وقدراتها. كانت خائفة، ولكن احاسيسها بلغت ذروة السعادة... وتحول مشاعرها كله الى بركان هائج. ازدادت التصاقاً به، وقال لها بصوت قوي أجش:

ـ اعتذر عن كل القسوة التي أبديتها منذ قدومك الى المنزل. أرجو ان تفهمي الآن معنى تعقلي ورصانتي... لم أكن أريد ان اخفق ثانية في التجربة.

لم تعد بحاجة الى الكلام. وأخذت تفكّر كيف أخفى استجابته التي ظهرت بوضوح في عينيه الملحّتين في ذلك المساء.

على أي حال، لم تعد قادرة على تفادي الاستسلام الكلي والتام. اخذت تردد اسمه، بما تبقى لها من صوت وقدرة على الكلام. كان يطوقها بذراعيه، وكأنه لن يتركها أبداً بعد الآن. ولاحظت في ذروة سعادتها وبهجتها، انه يحاول التصرف معها... قدر الامكان برقة ونعومة.

أخذت معطفها الملقى على الأرض وبدأت ترتديه، فمد يده برقة اذهلتها وأوقفها عن متابعة ذلك. تطلعت نحوه فشاهدته ينظر اليها بحنان لم تكن تتوقعه منه... وسمعته يقول لها بصوت ناعم:

ـ آسف، يا حبيبتي. لو انك اخبرتني مسبقاً، لتصرفت معك بشكل مختلف الى حد ما. كنت اتصور انك تخطّطين لكسب رخيص... ولم أكن أعرف طموحاتك السامية.

طبع قبلة خفيفة ورقيقة على شفتيها، ثم أضاف قائلا:

ـ ستكون حياتنا أفضل بكثير من الآن... أعدك بذلك. اخبريني الآن ماذا تريدين. هل تفضلين النزول الى المطعم لتناول طعام العشاء، ام البقاء معي هنا؟

كان واضحاً انه يفضل الشق الثاني من الاقتراح، ولكنه لم يعترض او

يحتج عندما قالت له انها جائعة. نزلا بعد حوالى نصف ساعة، ولكن الجو لم يكن مناسباً... على الرغم من جودة الطعام والموسيقى الحالمة. بدا لوجان متوتر الاعصاب بعض الشيء، فيما كانت هي تتأمله طوال الوقت... متمنية العودة الى ذراعيه وصدره... والى سريرهما المشترك. تحول خوفها الى شجاعة، وتهوّرها الى مطالبة، وتردّدها الى جسارة واقدام. وتمنت لو أنها قبلت اقتراحه، وبقيا معاً في غرفتهما.

دعاها الى الرقص، فلبت الدعوة بكل سرور. وما ان ضمها الى صدره بطريقة عادية جداً، لوجود اشخاص آخرين حولهما وقربهما، حتى التصقت به وذابت بين ذراعيه. قال لها بصوت ناعم، بعد مرور لحظات معدودة:

ـ ثيا، هل تعرفين ماذا تفعلين بي؟ هيا بنا الى الغرفة، فوجودنا هنا غير ضروري اطلاقاً.

كان حنوناً ورقيقاً احياناً، وقاسياً احياناً أخرى، ولكنه لم يقدم على أي شيء يخفف أو يحد من حبها المتزايد له. يا لسعادتها، لو انه يحبها!

استيقظت صباح اليوم التالي، فوجدته لا يزال مستلقياً قربها. تأملت وجهه بدقة وتمعن، وتمنت لو أنها تقدر الآن على ارغامه بالاعتراف بحبه لها. ولكن خجلها الناجم عن تجاوبها المطلق معه في الليلة السابقة أرغمها على الحد من اندفاعها. فتح عينيه فجأة، وابتسم لها... ثم اختفت البسمة من عينيه لتحل محلها نظرته الرصينة الخارقة. وبعدما امضى الدقائق ينظر الى عينيها تمتم قائلا:

ـ هل تذكرين المرة الأولى التي قبلتك فيها؟ كنت مريضة وتشعرين بالأسف والأسى على نفسك.

ـ أنا أذكر المرة الأولى، ولكنك أنت لا تذكرها.

ـ ماذا تعنين؟

لماذا ستخبره أشياء قد لا يرغب في سماعها؟ كرر السؤال، فأجابته باختصار:

ـ حدث ذلك فور وصولي الى دروملاريج، وعندما كنت أنت فاقد الوعي وفي حالة هذيان.

قطب حاجبيه، وكأنه يحاول التركيز على أمر هام، ثم سألها:

ـ هل يمكنك اطلاعي بالتفصيل عما حدث؟ لا بد انني اخفتك، أليس كذلك؟

ـ اخفتني قليلا، في تلك الفترة فقط، ولكنك لم تلحق بي أي اذى جسدي أو معنوي. كل ما في الأمر، انك اخذتني بين ذراعيك... ثم تخلصت منها دون أن اسبب لك صدمة تزيد من مرضك.

ـ بدأت أذكر ذلك الآن، ولكن كأحداث حلم قديم. هل أنت متأكدة...؟

ـ طبعاً، طبعاً!

ـ استغرب كيف انك لم تقرري مغادرة دروملاريج، على اثر ذلك مباشرة.

اقتربت منه بشكل ملفت للنظر، وقالت بصوت مرتجف:

ـ ربما كان ذلك سبب اصراري على البقاء.

تأملها لحظة ثم ضحك بصوت عال، وقال مداعباً:

ـ يا لك من شابة لا تعرف الخجل والحياء!

ثم طبع قبلة على شفتيها، وأضاف قائلا بصوت أجش:

ـ أعتقد انني سعيد، لاتخاذك ذلك القرار.

قالت له ممازحة، فيما تسللت يدها دون خجل الى عنقه:

ـ هل هو مجرد اعتقاد؟ ألست متأكداً؟

ضمها اليه بقوة، وتمتم قائلا:

ـ الن تتوقفي عن توجيه الاسئلة السخيفة؟

توقفت عن توجيه أي نوع من الاسئلة، وغرقت معه في بحر من الهيام والسعادة. هذا هو فطور الصباح الشهي... يا لنشوتها وسعادتها! وكقطة مسرورة ولكنها لا تزال جائعة، كانت تنظر اليه مبدية اهتماماً صادقاً لم يتعوده من قبل. وهمّ بحملها على أجنحة الهوى والعشق، ولكنه توقف فجأة وابتعد عنها قائلا بشيء من الانفعال:

ـ اوه، لقد نسيت انني مرتبط بموعد هام، خلال... ساعة من الآن. واذا تمكنت من الوصول في الوقت المناسب، فسوف احتاج الى كل مهارتي وذكائي وفطنتي. وقد لا اقدر على التركيز والانتباه اثناء الاجتماع، ما لم

انهض الآن وأحاول جاهداً ابعاد افكاري عنك... ولو بصورة موقتة.

قالت له انها تذكر حديثه عن هذا الموعد، ولكنها لم تكشف له عن انزعاجها البالغ من جراء اضطراره لمغادرتها صباح اليوم الثاني لزواجهما. كانت مسرورة أمس ان لديه اعمالا ستبعده عنها بعض الوقت، اما اليوم فهي مستاءة جداً بسبب ابتعاده عنها. قرأ أفكارها بسهولة، نظراً لانعكاسها الواضح على ملامح وجهها وفي نظراتها، وقال لها برقة ونعومة:

ـ لم أكن أعلم أن الأمور ستجري على هذا النحو بيننا، يا ثيا، والا لكنت طلبت تأجيل الاجتماع الى وقت لاحق. انه موعد بالغ الأهمية، ولا يجوز التخلي عنه أو اهماله. على أي حال، لا يزال امامنا الليل بكامله ونهار غد... وبقية حياتنا، على ما اعتقد.

اقترب منها بعد عودته من الحمام، ثم قبلها بحنان وقال باسماً:

ـ سأعوض الليلة عما سنفقده هذا الصباح.

لم يقل لها انه يحبها، لأنه ببساطة... لا يحبها. ومع ذلك، فقد شعرت ثيا بشيء من السعادة الحقيقية... ربما لأن ملامح وجهه تجعلها اكثر ثقة تجاه المستقبل. فهو أيضاً يتغير، ولو ان ذلك يتم ببطء وبصورة تدريجية. ولا شك في ان تجاوبها القوي مع مغازلته لها، وكذلك قدرتها المتبادلة على ارضاء بعضهما، قد ادهشاه الى حد ما. ليته يحبها... ولكن الطمع عادة قبيحة. قد تبدو السعادة على وجه اي رجل، تثبت له عروسه الشابة... من حيث تدري او لا تدري... انها مهتمة به جداً وتسعى الى ارضائه بكافة الوسائل. الا ان ذلك ليس كافياً، لحمله على الوقوع في حبها.

تناولا فطورهما بسرعة ثم اعطاها كمية وافرة من المال، مع تعليمات مشددة بالخروج من الفندق والتمتع بوقتها. لم يقل لها الى اين سيذهب، ومن سيقابل. ماذا سيفعل صباح هذا اليوم، الذي تقفل فيه معظم المؤسسات ابوابها بسبب العطلة الاسبوعية؟ ولماذا طلب منها الا تبتعد كثيراً، عن المنطقة التي يقيمان فيها؟

ظلت في محيط الفندق، حتى ما بعد الغداء. وعندما تأكد لها انه سيتأخر، قررت القيام بنزهة، وزيارة بعض المحال التجارية. لقد طلب منها ان تنفق كامل المبلغ الذي اعطاها اياه، ولكنها لم تتمكن من ارغام

نفسها على ذلك. ستحتفظ بالجزء الأكبر منه، لشراء بعض الحاجيات للبيت، فيما تستخدم القليل لابتياع عدد من الهدايا. الا يمكنها الذهاب الى شقتها، لمعرفة ماذا حل بها ولأخذ قسم من ثيابها، طالما ان الفرصة سانحة لها؟ لن يلاحظ لوجان ابداً وجود ثياب اضافية في خزانتها، واذا حدث ذلك فسوف يفترض انها ثياب اشترتها بالمال الذي اعطاها اياه. لا، لن تقدر على خداعه... وليست بحاجة اطلاقاً الى اي اوجاع رأس اضافية.

امضت الساعات القليلة التالية، وهي تتجول في الحي الغربي القريب من الفندق. ولكن لوجان لم يعد الى جناحهما الفخم، الا حوالى السادسة والنصف. قالت له بصوت حزين:

- تصورت انك لن تعود ابداً!

عقد جبينه قليلا ثم لامس وجنتيها الشاحبتين برقة ومحبة، قائلا:

- حاولت مراراً الاتصال بك، يا حبيبتي، ولكنك كنت خارج الفندق. هل تصورت انني تعرضت لحادث سيارة، او ما شابه ذلك؟

ابعدت وجهها عنه، وقالت بشيء من الحدة والانفعال:

- كيف كان يمكنني ان اعرف ماذا حل بك؟ لقد غادرت الفندق منذ وقت مبكر جداً.

- اعرف، اعرف.

تباً لكم، ايها الرجال! تنسون كل شيء، عندما يتعلق الأمر بعملكم، ولا تزعجون انفسكم بكلمة اعتذار واحدة! احست بأنه يبعد نظراته عنها لينظر الى ساعته، ثم سمعته يقول لها:

- اسمعي، يا ثيا. سأحتاج الى كل دقيقة الآن، اذا كنا سنتناول طعام العشاء قبل خروجنا من الفندق.

نظرت اليه مستفسرة، فأبلغها بانه حجز مقعدين في احد اشهر المسارح اللندنية. وفيما كان يتحدث اليها، لاحظت انه يتأمل فستانها باعجاب. قالت له:

- لم تقل لي اين كنت، ولم تهتم حتى بتقبيلي لدى وصولك. هل يعجبك فستاني؟

- ثلاثة اسئلة دفعة واحدة، مع انه ليس لدي وقت كاف للاجابة على

واحد منها، حسناً، يا امرأة! سأبدأ بك، فانت تبدين رائعة الجمال... وهذا امر تعرفينه بالتأكيد. ثانياً، لم اجرؤ على تقبيلك لأنني لن اضمن بعد ذلك اذا كنا سنذهب الى أبعد من السرير. أما بالنسبة للمكان الذي كنت فيه، فاني انوي اطلاعك على شيئين هامين بالتفصيل... بعد عودتنا من الحفلة. وآمل مخلصاً في ان يدخل هذان الأمران السرور والارتياح الى نفسك، وان يحققا تحولا كبيراً في حياتنا.

احمر وجهها فجأة، وسألته بتلهف واضح:

- ولماذا بعد عودتنا؟

- لأنهما هامان جداً، بحيث أننا قد لا نرغب في التفكير عندئذ بأي شيء آخر.

- لسنا، إذن، بحاجة الى الذهاب.

- بلى، يا عزيزتي. أنا أعرف مدى رغبتك في مشاهدة هذه الحفلة، كما ان خروجنا من الفندق قد يشكل نوعاً من الاحتفال بما حصلنا عليه. ستكون هذه الحفلة وما سيليها بديلا بسيطاً من شهر العسل الحقيقي، الذي سنقوم به قريباً جداً باذن الله. قليلا من الصبر، ايتها الحبيبة، وسترين ما يعجبك.

فوجئت ثيا بمدى اعجابها بالحفلة، ولكنها ادركت السبب الجوهري لذلك. فقد شكّل وجوده معها الجزء الأكبر من متعتها وسعادتها. ربما لا يحبها، ولكنه تصرف معها طوال الوقت وكأنه مسرور جداً برفقتها. خرجا اثناء الاستراحة لشرب فنجان من القهوة، فسألها بشيء من الجدية والاهتمام:

- انك تتمتعين بوقتك هنا، اليس كذلك؟

احمر وجهها بعض الشيء وافتر ثغرها عن ابتسامة رائعة، ولكنها وجدت صعوبة بالغة في شرح السبب الاساسي لسعادتها... واكتفت بالقول:

- يسرني أننا اتينا الى هنا.

تأملها لحظة، ثم قال لها بلهجة تنم عن الانفعال الضمني:

- قد يحن قلبك كثيراً الى مثل هذه الحفلات، بعد عودتنا الى

دروملاريج. ربما ستجدين منطقتنا قروية وبسيطة جداً بالنسبة لك، عندما يزول بريق الحماسة لكل شيء جديد وغريب.

تذكرت فوراً زوجته الاولى، ولكنها لم تتمكن من ايجاد الكلمات المناسبة لاقناعه بأنها ليست ابداً مثل كاي... ولا يهمها اطلاقاً الابتعاد عن دروملاريج. ضايقه ترددها، فقال لها فجأة:

ـ هيا بنا الى القاعة، فالجزء الثاني من الحفلة سيبدأ بعد قليل.

لحقت به وهي تتمتم متأخرة، بأنها لن تجد دروملاريج أبداً بسيطة وهادئة... الامر الذي لم يكن مقنعاً حتى بالنسبة اليها. غرقت في مقعدها... وفي تفكير عميق، ولم يعد يهمها من تلك الحفلة سوى نهايتها السريعة. غادرا القاعة صامتين، فيما كان مئات آخرون يتحدثون ويتسامرون ويضحكون. و...

اصيبت ثيا بهلع شديد ورعب هائل، عندما اقترب منها... جيري بانكس. قررت تجاهله، ولكنه امسك بمرفقها واوقفها عن متابعة سيرها. لاحظت ان لوجان لم يقل شيئاً، بل وقف قربها بتهذيب مبالغ فيه. قالت لجيري:

ـ اوه، مرحباً، يا جيري. آسفة، فنحن على عجلة من امرنا.

ـ مهلا، مهلا، ايتها الحبيبة. لا يمكنك ابعاد صديقك القديم جيري، بمثل هذه السهولة والسرعة. أنا أعرف أنك لم تغفري لي بعد، لأنني تخليت عنك في سان موريتز. ولكنك لو انتظرت قليلا آنذاك، لكان كل شيء على ما يرام!

نظرت مذعورة الى وجه لوجان العابس، ثم قالت للرجل الآخر:

ـ ارجوك، يا جيري. انت تعرف ان المسألة لم تكن اطلاقاً، كما تحاول تصويرها الآن.

تأملها باغراء، وتابع قائلا كأنها لم تقل شيئاً:

ـ حاولت الاتصال بك هاتفياً في شقتك، كما ذهبت اليها مرات عديدة، ولكنني لم اجدك. اتصلت بمحاميك الأرعن، فاكتشفت ان معلوماته عنك كانت اقل مما انا اعرفه. أوه، لا شك في انه أمراً عظيم ان يتمكن الانسان مثلك، من الذهاب الى أي مكان يريد وانفاق ما يريد.

شحب وجهها، عندما لاحظت ان الصدمة انستها وضعها الحالي. قالت له:

ـ انا متزوجة الآن، يا جيري، وهذا هو زوجي.

نظر اليها بخبث ومكر بالغين، ثم قال:

ـ حقاً، ايتها الحبيبة ثيا؟ تحدث هذه الأمور دائماً، وبخاصة عندما يقع بعض الرجال في الشرك ويتهاوون أمام النساء!

أرعبتها نظرات الغضب البارد والهادىء في عيني لوجان، وخافت ان يلكمه ويطرحه أرضاً. قالت لزوجها بصوت مرتعش:

ـ ارجوك، يا لوجان. هيا بنا.

ظل واقفاً في مكانه بعض الوقت، فخشيت رفضه وما قد يلي ذلك من مشاكل معقدة. ولكنه امسك بمرفقها فجأة وأخرجها معه بسرعة، متجاهلا جيري بصورة تامة. كان الطقس بارداً والمطر منهمراً، الا ان ثيا لم تأبه لأي شيء من هذا القبيل. فالالم الداخلي، اسوأ بكثير من الازعاج الخارجي الموقت... وبخاصة عندما شعرت بان العذاب لن يتوقف عند هذا الحد.

سألها بصوت قاس:

ـ اين هي هذه الشقة؟

اذهلها تسرّعه واستعداده لتحويل افتراضات واستنتاجات فورية الى قناعة راسخة، وضايقتها جداً ادانته لها بناء على معلومات قليلة تافهة. لاحظت انه ينظر اليها وكأنها شخص غريب عنه.

ـ هل ستصدق كل شيء قاله جيري؟

ـ هل كان كلامه كله كذباً ونفاقاً؟

احنت رأسها بحزن وأسى، واعترفت له يائسة بأن بعض المعلومات صحيحة... ولكنها مشوهة. عاد الغضب العارم الى عينيه، وسألها بلهجة قاسية:

ـ ما هو عنوان شقتك؟

لم يعد بامكانها تجاهل مطالبه، فاطلعته على عنوان الشقة بصوت منخفض متلعثم. ثم امسكت بذراعه، في محاولة لحمله على النظر اليها، وقالت له متوسلة:

ـ لوجان، ارجوك! لا داعي للذهاب الى هناك، سأشرح لك كل شيء بالتفصيل.

تجاهل كلامها وأوقف سيارة أجرة، ثم دفعها الى الداخل وردد العنوان للسائق. تطلعت نحوه لتكرر الرجاء ذاته، الا انه سألها:

ـ هل مفتاح الشقة معك الآن؟

انها تحمله معها باستمرار، وقد تحول في الآونة الأخيرة الى تذكير متواصل لها بذنبها... وبامتناعها عن اطلاع لوجان على الحقيقة كاملة. اجابته بكلمة واحدة... وحل بعد ذلك صمت ثقيل مرعب. جمدها اليأس والذعر في مكانها، لان لوجان لن يغفر لها اطلاقاً. الم يخدعه أحد من قبل؟ هل ستسمح له كرامته وعزة نفسه، بالوقوع فريسة الخداع والكذب مرة اخرى؟

تجول في شقتها كالصقر، فيما كان يبحث وينقب في كل مكان... وكأنه شخص يريد شراء الشقة ومحتوياتها. ثم توقف فجأة، وقال لها بقساوة بالغة... فيما كان الشرر يتطاير من عينيه:

ـ ها قد تكشفت نقطة الخداع الاولى! شقة فخمة انيقة في الحي الغربي، موظف استقبال في بزة رسمية، وبالتأكيد سيارة سباق جميلة رائعة في مرآب هذه البناية الحديثة! هل ثمة أشياء أخرى، لا أزال أجهلها حتى الآن؟

ـ لوجان...

قاطعها بحدة ارعبتها، قائلا بلهجة مشبعة بالسخط والغيظ:

ـ ثيا! لا تحاولي الاستمرار في المماطلة والمراوغة! لا أعرف سبب ذهابك الى دروملاريج، ولا أريد معرفته. اقدمت على سلسلة من الأحداث والتصرفات، التي كنت تعرفين بالطبع أنها لن تؤدي الا الى كارثة. لن ينفعك الاستمرار في الكذب!

أمسك بعنقها وضغط بقوة أرعبتها، ثم قال:

ـ أريد معرفة... كل شيء!

حدقت به خائفة مذعورة، وقالت له بصوت شبه مختنق:

ـ لا توجد اشياء كثيرة...

ـ كل شيء، يا ثيا، كل شيء!

لا، لن يؤذيها... ولكنها لن تجرؤ على مواصلة التحدي والعصيان. ما من فائدة في محاولة انقاذ زواجها، عن طريق اخفاء الحقائق المتعلقة بالمال الذي تملكه. فالدليل موجود هنا أمام عينيه، ولا يمكن تجاهل هذا الأمر او تجنبه أو... تبريره. ولكن ثمة شيئاً آخر ستحدثه عنه أولا، بغض النظر عما اذا كان سيصدقها أم لا. نظرت اليه بعينين تطالبانه بالصبر والتحمل، وقالت له:

ـ لم يكن الأمر كما وصفه جيري، يا لوجان، فأنا التي تركته. لم أتركه وحده، فقد كانت معنا شابة أخرى تدعى باميلا. تصورتها دائماً أنها أخته، الى ان اكتشفت في سويسرا أنها عشيقته... وأنهما يستغلانني لدفع نفقات اقامتهما و...

ـ ولم تزعجك تلك المسألة الا قليلا، بحيث انك قررت الهرب الى الريف الاسكتلندي! من الواضح أنك ذهبت الى سويسرا، وأنت تفكرين باقامة علاقة غرامية معه... لو لم تسبقك الى ذلك فتاة أخرى. هل كنت تحبينه الى تلك الدرجة؟

ـ أحبه...؟

لم تعد تتحمل الاتهامات القاسية، التي يوجهها إليها بلا شفقة أو رحمة! ترددت قليلا، وهي تحاول يائسة مذعورة البحث عن الحقيقة. هل كانت تحب جيري، ولو الى حد ما؟ لو كان ذلك صحيحاً، فان حبها لم يتجاوز حدود تخيلاتها وتصوراتها. لاحظت فجأة ان لوجان اساء تفسير صمتها، واعتبره ادانة واضحة للذنب لم تقترفه. ولم تستغرب ابداً، عندما واصل صفعها بالكلمات القاسية والجارحة. سألها بحنق شديد:

ـ هل تظنين انني اهتم بما فعلت مع رجال آخرين؟ من الواضح تماماً انك كنت على استعداد تام للسكن مع صديقك جيري، لو انه طلب منك ذلك. لندع الأمور الجلية جانباً، ولنتحدث الآن قليلا عن أموالك... هذه الأموال التي تناسيت ابلاغي عنها بعدما وصلت الى دورملاريج.

ـ لا أريد التحدث عن المال، يا لوجان. أريد ان انسى وجوده بصورة تامة.

ـ ما هو المبلغ الذي تملكينه؟ هيا أخبريني!

كادت تختنق، فانتفض رأسها بقوة للتحرر من قبضته الفولاذية. فوجئت به يترك عنقها دون تردد، وكأنه أصبح يأنف من ملامستها. تمتمت بالرقم التقديري، فلم تتبدل ملامح وجهه... ووجه اليها السؤال الذي كانت تخشى سماعه طوال الوقت:

ـ لماذا لم تطلعيني على ذلك، قبل زواجنا؟

ـ لأن... لأنني خفت من عدم سماحك لي بالبقاء، فيما لو عرفت عن موضوع المال.

ـ هل تهمك دروملاريج الى هذه الدرجة؟

نعم، ولكن ليس بالقدر ذاته ابداً الذي اهتم بك أنت... أيها المتعجرف الأحمق! ولكن، كيف يمكنها قول ذلك الى رجل يكرهها؟ كيف يمكنها الكشف عن حبها العاصف، الى رجل يبغضها وربما يحتقرها؟ قالت له، وهي مذهولة وشاردة الذهن:

ـ لم تفهم الموضوع جيداً، يا لوجان. ادركت فور اكتشافي العلاقة القائمة بين جيري وباميلا، مدى تفاهة المال وعدم جدواه. احسست بأنني لا أريده، فاتصلت بالمحامي لاستشيره عن كيفية تحويله الى جمعيات خيرية... ثم ذهبت الى اسكتلندا.

ـ ولماذا اسكتلندا، و دروملاريج بالذات؟

الا يمكنه التوقف عن اطلاق التهم جزافاً، وكأنها مجرمة؟ وجدت صعوبة بالغة في النظر الى عينيه الغاضبتين، ومع ذلك فلم تتمكن من ابلاغه انها ولدت في دروملاريج وعاشت فيها السنوات الخمس الاولى من عمرها. لم تسمح لها عزة نفسها بذلك! اذا رضي بها ووافق على ابقائها معه، فليكن ذلك لأنه يريدها هي... كما هي... وليس بسبب الشفقة أو أي شيء آخر! لن تقبل باستخدام تلك القصة القديمة العاطفية، لحمله على الاقتناع بكلامها! سألته بهدوء:

ـ ولم لا؟

ـ وتلك التصرفات في دروملاريج؟ هل كانت تسلية ممتعة بالنسبة...؟

ـ لم يكن يهمني سوى تقديم يد العون، ولا أزال أريد ذلك من صميم قلبي.

ـ وجدتني طريح الفراش وفاقد الوعي، فاستخدمت حنكتك ومهارتك للتأثير على جايمي ومارثا... وبعدما اقنعتني أنا بأنك فتاة يتيمة مسكينة، وقعت في الشرك كفتى أحمق... وعرضت عليك الزواج.

ـ حاولت اطلاعك على كل شيء، ولكن الأمر لم يكن سهلا وبسيطاً. ومع ذلك، فقد حاولت وحاولت طوال الأسابيع الماضية... ولو دون جدوى. على أي حال، يمكننا استخدام المال في دروملاريج.

صرخ بها بوحشية لا مثيل لها، قائلاً:

ـ لا، لن يحدث هذا الامر اطلاقاً! لست بحاجة الى مالك، يا ثيا، ولن اسمح ابداً باستخدامه في بيتي وأرضي. مهما يكن الأمر، فثمة موضوع هام للغاية اريدك ان تفهميه جيداً. انا لست سلعة تباع في مزاد علني او خاص، وتصبح لعبة في يد امرأة ثرية متسلطة.

ـ لن أفعل ذلك اطلاقاً، يا لوجان، وانت تعرف هذه الحقيقة المجردة!

ـ لن تسنح لك اية فرصة للاقدام على ذلك، يا صغيرتي.

أحست بأنها لم تعد قادرة على الوقوف، فانهارت على كرسي وراءها. لماذا يتحدث معها بهذا الشكل، وكأنما حياتهما معاً قد انتهت؟ انه غاضب جداً، ويحق له... لأنها اغفلت ذكر المال أمامه في وقت مبكر. ولكنه سيسامحها، فالعاطفة التي اظهرها في الليلة السابقة لن تزول بمثل هذه السرعة. قالت له يائسة:

ـ لوجان! سأعدك بأنني لن استخدم أبداً بعد الآن جنيهاً واحداً مما أملك.

ـ لن اثق بوعدك، يا ثيا، فخداعك لم يتوقف منذ البداية... الامر الذي لا يخفى على اي رجل ذي ذكاء متوسط. مواد غذائية للبيت تتطلب اكثر بكثير مما كنت اعطيك، ثياب جايمي الجديدة، هدايا الاعياد... هل اذكر لك المزيد من الامثلة؟

اجابته باكية:

ـ حسناً، حسناً. لو استخدمت المبالغ الزهيدة وحدها، التي كنت تعطيني اياها لشراء المأكولات، لمتنا جوعاً. حتى الاجر الذي عرضته علي...

ـ كان تافهاً جداً. لن تفهمي اطلاقاً، انني كنت أبذل محاولة يائسة لجذب الانسان المناسب.

ـ يبدو انك فشلت معي، اليس كذلك؟

ـ تماماً! الا ان هذا كله اصبح الآن ملكاً للتاريخ... وجزءاً من الماضي.

تصورت انه ساعها، ولكن جملته التالية حطمت آمالها. قال لها بهدوء:

ـ انت مرتاحة جداً هنا، ولن اقبل بالتأكيد تحميل ضميري عبء تعذيبك في دروملاريج.

ـ ماذا تعني؟ ماذا تنوي ان تفعل معي، يا لوجان؟

لم يجبها فمضت الى القول:

ـ ارجوك، هيا بنا الى الفندق. لا أريد البقاء هنا دقيقة أخرى.

ـ يؤسفني انك ستضطرين لذلك. سأتوجه... وحدي... الى الفندق، لجمع امتعتي، اما انت، فستبقين هنا.

ـ هل يعني ذلك انك ستعود الى هنا بعد قليل؟

ـ لا، ساعود الى دروملاريج... وحدي...

قفزت من مكانها كحيوان جريح، وهي تصرخ قائلة:

ـ لوجان! لا يمكنك ان تتركني هنا! لا، لا يمكنك ذلك! الا تفهم ماذا يجري؟ سأموت اذا تركتني، لانني احبك حباً جماً!

لم تكن راغبة اطلاقاً في الكشف عن حبها له، حتى تتأكد من أنه يحبها. ولكنها لم تتمكن من اخفاء هذا الشعور القوي طويلا فما نفع الاسرار، اذا كان سيتركها؟ لم يعرها أي اهتمام يذكر، واكتفى بالقول:

ـ انت لا تحبين الا نفسك، يا ثيا. أنا نادم على زواجنا، وآسف جداً لانني لم اطردك من بيتي وحياتي قبل أسابيع عدة. ولكنني لن أقع في الخطأ ذاته مرتين، فقد انتهى زواجنا، يا عزيزتي. ومن حسن الحظ انه انتهى بمثل هذه السرعة، وقبل الحاقه مزيداً من الضرر والأذى. لن نقابل بعضنا بعد الآن، يا ثيا!

انهمرت الدموع من عينيها، وهي تقول له بصوت متهدج من شدة الحزن والتأثر:

ـ لا، يا لوجان! أنا أحبك... وأحب جايمي، ودروملاريج أيضاً. يمكننا ان نعيش جميعنا هناك، بسعادة وهناء، فأنا لم أحب المدن حقاً طوال حياتي. لا يمكنك ان تتركني الآن على هذا الشكل، يا لوجان، فسوف أضيع بدونك.

ـ لا ترهقي نفسك كثيراً، يا ثيا، فالقرار نهائي وبات.

انهارت على كرسيها، وهي تذرف الدموع بغزارة... وتنتحب. لا، لا يمكنه ان يعني تلك الكلمات القاسية التي أمطرها بها كوابل من الرصاص القاتل! سيخف غضبه تدريجاً، ويعود! سيعود! من يضمن لها ذلك؟ انه عنيد جداً، وقد اثبت لها ذلك مراراً في دروملاريج...

مضت ساعة كاملة تقريباً، وهي جالسة في مكانها... لا تعرف كيف تواجه هذه الصدمة العنيفة. لا بد لها من التحدث اليه! ستذهب الى الفندق! لا، فقد يتصرف معها بطريقة لا يريدها... بسبب غضبه العارم! اتصلت بالفندق وطلبت التحدث اليه، فقالت لها الموظفة المسؤولة ان السيد موراي غادر قبل ربع ساعة.

لم تترك شقتها أسبوعاً كاملا، عاشت خلاله على الشاي والحليب وقطع الخبز المجففة... والبكاء المتواصل. مرت الأيام السبعة ببطء بالغ، وتبين لها على أثرها انه لم يعد لديها اي شيء تأكله. ارغمت نفسها على مغادرة الشقة لفترة قصيرة، كي تشتري بعض المأكولات المعلبة ومزيداً من الشاي والحليب. وعادت بسرعة ولهفة، لأن لوجان قد يتصل بها.

وعندما اتضح لها انه لا ينوي العودة او الاتصال بها، بدأت كرامتها تثور وتتمرد... ولكنها رفضت التراجع والاستسلام بسهولة. اتصلت بدروملاريج في وقت متأخر من احدى الامسيات، لتضمن وجوده في البيت. وعندما سمعت صوته، اختنقت الكلمات في حلقها وغطت دموعها المنهمرة بغزارة سماعة الهاتف والاوراق المبعثرة حول الجهاز الصغير. ردد رقمه مرة اخرى، ثم سأل بانفعال:

ـ من المتحدث؟

ـ لو... لوجان! أنا... ثيا، وأريد التحدث... معك.

ـ آسف.

ـ اسمعني قليلا، ارجوك! أنا أحبك، يا لوجان، وأشعر بتعاسة وقلق بالغين. من يهتم بك...؟ أوه، ارجوك!

ـ وداعاً!

اتصلت به مجدداً وتوسلت اليه لكي يصغي اليها، ولكنه اكتفى بجملة واحدة مقتضبة، قبل اعادة سماعته الى مكانها:

ـ توقفي عن ازعاجي، يا ثيا!

حاولت الاتصال به في الليلة التالية، ولكن النتيجة لم تتغير. وعندما قررت القيام بمحاولة أخيرة، أجابتها امرأة لم تعرف صوتها. طلبت منها بتهذيب التحدث مع السيد موراي، فقالت لها:

ـ لحظة واحدة، من فضلك.

عادت بعد قليل وقالت بلهجة تنم عن شيء من الانزعاج، ان السيد موراي غير موجود. سألتها ثيا عمن تكون، فقالت لها انها مدبرة المنزل الجديدة. كادت تصاب بانهيار عصبي، فقد تأكد لها عندئذ انه اعاد تنظيم حياته بدونها... وانه لن يقبل ابداً بعودتها. فقدت كل أمل، وأمضت الأسبوعين التاليين في البكاء والعويل.

تأملت نفسها يوماً في المرآة، فخافت مما شاهدته أمامها. بدت ضعيفة جداً، وأشبه بهيكل عظمي. لم يعد لديها أي شيء ينقذها من هذه الورطة المميتة واليأس القاتل، سوى اللجوء الى كرامتها وعزة نفسها. ستدخل الى الجامعة في بداية العام الدراسي المقبل، وسوف تتخصص في تعليم الأطفال... لأنها تحبهم كثيراً... ولأنها لن تصبح أما طالما انها لن تتزوج أحداً غير لوجان! وقررت ثيا استغلال الأشهر المتبقية من العام الحالي، للعمل في أحد الفنادق.

باعت شقتها، وجمعت كافة امتعتها في حقيبتين عاديتين. وفيما كانت تغادر الشقة في اليوم المقرر، رن جرس الهاتف. ماذا يريد محاميها الآن، بعد توقيعها جميع الاوراق والوثائق المطلوبة؟

رفعت السماعة... فارتجف جسمها فوراً.

ـ لوجان؟ لوجان؟

ـ ثيا؟ هل هذه أنت، يا ثيا؟

ـ نعم، يا لوجان. كنت ذاهبة، عندما استوقفني جرس الهاتف.

ـ ثيا، أود ان اطلب منك شيئاً هاماً. لقد كسر جايمي رجله.

ـ جايمي... أوه، لا! اوه، حبيبي جايمي!

مسحت الدموع التي تصورت أنها انتصرت عليها، ومضت الى القول:

ـ آسفة لسماع ذلك، يا لوجان. ماذا حدث له، وهل تؤلمه رجله كثيراً؟

ـ انه... انه يطالب بك.

ـ يطالب بي؟

ـ يجب الا يدهشك ذلك كثيراً، فقد نجحت تماماً اثناء وجودك هنا في جعله يتعلق بك الى درجة كبيرة.

ـ اتصور ان لديك اعتقاداً راسخاً، بان هذا الأمر أيضاً كان جزء من خطتي!

ـ انا لا اتهمك بأي شيء، يا ثيا، ولكنني أفكر بالصبي.

ـ كيف يمكنني ان أساعده، وأنا في لندن؟ هل تريدني ان اتحدث معه؟

ـ لا! اريدك ان تعودي، اذا كنت راغبة بذلك. صممت على الذهاب الى لندن لاطلب منك العودة معي، ولكنني لا اقدر على تركه.

ـ ومدبرة المنزل الجديدة؟

ـ لا بأس بها اطلاقاً. ليست قديرة مثلك، ولكنها تفي بالغرض الى حد ما. لن تجدي نفسك على الأقل مضطرة للقيام بأعمال كثيرة، باستثناء تلك المتعلقة بجايمي.

١٠ـ عادت الى جايمي . . . وحاول لوجان ان يستعيدها فرفضت باصرار، ولكن قلقها لم يهدأ لحظة. اندفعت اليه تحت المطر فحملها على جواده. واعترفت بسرّ طفولتها في هذا المنزل فأخذتها السيدة موراي بين ذراعيها.

جايمي فقط! تساءلت ثيا بمرارة عن هذا المغزى، فيما كان قطارها منطلقاً بسرعة نحو فورت وليام. عرف لوجان نقطة ضعفها، فاستغلها بطريقة خبيثة ماكرة. استقلت أول طائرة متجهة الى اسكتلندا، ومن ثم أول قطار يغادر العاصمة باتجاه. . . المجهول!

استقبلها لوجان في محطة السكك الحديدية، فلم تشعر بأي هلع أو حزن أو. . . أو أي شيء آخر. لم يعد يعني لها شيئاً، لأنها طردته من حياتها وقلبها. . . كما طردها من بيته وحياته. بدا أكبر سناً من قبل، وهذا عائد بالتأكيد الى قلقه على جايمي. أوه، جايمي الحبيب الغالي! اقترب لوجان منها، ثم سألها بهدوء وتهذيب فائقين:

ـ كيف حالك؟

هزت رأسها، وهي تلاحظ انه لم يحاول لمسها. . . الا بنظراته. قال لها:

ـ لقد اتيت.

لم يذكر اسمها في جملتيه القصيرتين جداً، فردت عليه بالمثل:

ـ وعدتك بالمجيء، فجئت.

ارتعش الجليد في داخلها وبدأ يتشقق قليلا، ولكنه لم يتحطم أو يذب. أضافت قائلة بلهجة قوية وثابتة:

ـ اتيت لأجل جايمي.

ـ انا ممتن لذلك!

يا للغرابة! يحدثها كأنها انسان لا يعرفه! مد يده لحمل الحقيبة الصغيرة، وقال:

ـ السيارة موجودة خارج المحطة. سنصل الى البيت قريباً.

لن تسمح لدفء صوته ونبراته باذابة جليدها! سيطرت بسرعة على اعصابها ومشاعرها، ففوجئت بمدى تجاوبها مع قرار العقل. ولكنها لم تنتبه الى انه يتأمل جسمها الهزيل، بعينين معذبتين ونظرات حزينة. سألها فجأة:

ـ هل تفضلين ان تشربي فنجان شاي أو قهوة، قبل ذهابنا؟

ـ لا شيء، شكراً. أفضل الذهاب فوراً الى دروملاريج.

ـ كما تريدين.

لماذا يتردد هكذا؟ هل ندم على مطالبتها بالحضور، بغض النظر عن سرور ابنه أو حزنه؟ أم ان هناك شيئاً آخر، يختلف تماماً عما تتصوره الآن؟ سمحت لنفسها بالنظر اليه مرة ثانية، وهما يغادران المحطة، فاستغربت كيف احبت فتاة مثلها رجلا متجهم الوجه وعاقد الجبين والحاجبين مثل لوجان موراي! هل يتمتع بأي شيء، يا ترى، سوى الوسامة؟ آه منها، ومن جاذبيته العنيفة المغرية! سألته بعد فترة صمت طويلة للغاية:

ـ هل تعرف مدبرة المنزل الجديدة انني. . . انني زوجتك؟

ـ لقد رحلت.

www.elromancia.com

- رحلت؟ ولكنني سمعتك اليوم تقول انها جيدة.

- كانت جيدة... الى حد ما. عندما علمت بقدومك المتوقع، قدمت استقالتها من وظيفتها. احضرتها معي اليوم الى المحطة لكي تستقل القطار ذاته الذي اتى بك.

- ولكن... لماذا؟ اعني... ألم تقل لها انني لن أبقى فترة طويلة؟

أجابها بتأفف وتململ واضحين:

- لم يكن لبقائك اية علاقة بها. أعتقد انها لم تحب دروملاريج كثيراً، وبخاصة بعدما علمت بأمرك... وبعدما كسر جايمي رجله وأصبح بحاجة الى اهتمام اكبر. اتصور انك كنت القشة الأخيرة التي قصمت ظهر البعير، أو السبب الذي كانت تبحث عنه لتترك وظيفتها. لست متأكداً!

- الا يهمك هذا الامر؟

اجابها بقساوة بالغة اذهلتها وأفزعتها:

- طبعاً، يهمني ذلك كثيراً! ولكنني لا اريدك ان تعتقدي انني احضرتك الى هنا للعمل، فسوف يكفيك ما ستقومين به لاجل جايمي... خاصة وأنك بحاجة الى الراحة التامة اكثر من اي منا.

أحست برغبة مفاجئة لايلامه، انتقاماً لما فعله بها. دافعت عن نفسها بصراحة تامة، قائلة:

- فقدت قليلا من وزني، لكن ذلك كان متوقعاً. فما من فتاة في الدنيا تتوقع الزواج والانفصال، خلال يوم واحد تقريباً. الا انني تجاوزت الآن تلك المحنة الأليمة، وأنا ممتنة لك في الواقع لأنك اعدتني الى رشدي وصوابي. سأستعيد ما فقدته بسرعة كبيرة، وربما قبل مغادرتي دروملاريج مرة ثانية.

أوقف لوجان السيارة بصورة مفاجئة وقوية، صارخاً بها:

- مهلا، مهلا!

ما هو هذا الموضوع الهام والطارىء، الذي يريد التحدث فيه الآن؟ اطلق العنان فجأة لسيارته، وبالسرعة ذاتها التي أوقفها بها، ثم قال لها بحدة:

أخشى أنك ستضطرين للانتظار قليلا، فزوجة أخي موجودة وراءنا.

- جودي؟

- نعم. انها آتية الى دروملاريج لزيارة جايمي.

- اوه! هل... هل تعرف أننا انفصلنا عن بعضنا؟

- تعرف انك لم تعودي معي من لندن. يجب ان نتحدث عن هذا الموضوع، يا ثيا.

- قد لا تجرؤ جودي على الاستفسار منك عما حدث، ولكنها لن تتردد عن استنطاقي أنا. ماذا سأقول لها في تلك الحالة؟

- قولي لها ان هذا الموضوع ليس من شأنها اطلاقاً.

- بكل سرور.

وصلا الى دروملاريج بعد قليل، فهرعت ثيا نحو غرفة جايمي وهي تردد اسمه بحنان ولهفة. طوقت جسمه الصغير بذراعيها، فتعلق بها وانفجر باكياً... وهو يقول لها:

- ثيا، اوه ثيا! لماذا تركت دروملاريج؟

لم يخطر ببالها ان تسأل لوجان، عما ستقوله لجايمي في حال توجيهه سؤالا كهذا، فارتبكت وتلعثمت. كيف يمكنها ان تشرح لصبي في الثامنة من عمره، معنى الانفصال والاغيار في العلاقات الزوجية؟ الا يكفيه حدوث ذلك مرة من قبل؟ هل سيتحمل الصدمة الثانية؟ تدخلت جودي في تلك اللحظة الحرجة، لتقول بصوت ناعم ومشبع بالحقد والسخرية:

- يا له من منظر رائع مؤثر! هل يمكنني الافتراض، بأن خلاف العاشقين قد انتهى! على أي حال فما من شيء احلى من النهاية السعيدة... كمعظم الافلام السينمائية العاطفية المرحة!

اجابتها ثيا بصوت ضعيف:

- لكل زواج حلاوته ومرارته.

- بعد يومين فقط؟

- كانت... كانت لدي بعض الأعمال الضرورية في لندن.

- هذا كل شيء؟

لم تجبها فوراً، فكرر جايمي السؤال بلهفة وقلق... فيما كان يحدق بها بعينين حزينتين متعبتين. احست بان لوجان واقف في باب الغرفة، وينتظر

مثل الشخصين الآخرين جوابها على ذلك السؤال المحرج. تفاعل الغضب في نفسها بعنف شديد، عندما لاحظت خوف لوجان من احتمال اقدامها على بحث خلافها الشخصي امام اي شخص آخر. لا شك في انه لا يعرفها بعد على حقيقتها!

قالت لجايمي بسرعة:

ـ طبعاً، هذا كل ما في الأمر.

أشرق وجه الصبي، وسألها بلهفة تتسم بالسرور والأمل:

ـ لن تغادري دروملاريج، اذن، مرة أخرى؟

ضحكت بطريقة غريبة الى حد ما، وهي تقول له في محاولة لتجنب الرد المباشر:

ـ أوه، جايمي! تحدثني عن الذهاب، وأنا لم أعد الا قبل دقائق!

ارتاح جايمي على جوابها، وتحول انتباهه الى الاشياء التي احضرها له والده من فورت وليام. خلعت ثيا معطفها وقالت لهم انها ستعد الشاي للجميع، فلم يحاول لوجان ايقافها. وعندما وصلت الى المطبخ، ابتسمت العجوز مارثا وقالت:

ـ آه، كنت أعرف انك ستعودين!

تألمت ثيا كثيراً، ولكنها اجابتها بحدة:

ـ لن ابقى هنا الى الأبد، واتصور انك تعرفين ذلك أيضاً!

ـ أنا أعرف الجواب أكثر منك، يا ابنتي، ولكنني سأتركك الآن لكي تجهديه بنفسك.

بعدما طبعت ثيا قبلة المساء على وجه جايمي، وتبادلت واياه التمنيات بليلة سعيدة هانئة، احست بأنها مرهقة جداً وعلى استعداد تام للنوم. ولكن لوجان يريد التحدث معها، ولا يمكنها تأجيل ذلك الى ما لا نهاية. نظرت حولها في الغرفة المحاذية لغرفة جايمي، والتي ارشدها اليها لوجان قبل قليل وهو يتمتم قائلا:

ـ انه تدبير موقت، لحين انتهائنا من حديثنا.

شعرت بشلل شبه تام في تفكيرها، مما وفر عليها مشقة التأكيد له بأنها ستكون مسرورة جداً لتمكنها من النوم وحدها. وفي غرفة منفصلة.

غسلت وجهها، واستخدمت بعض مستحضرات التجميل العادية لاخفاء الوهن الشديد... البارز بوضوح في وجنتيها وتحت عينيها. وعندما القت النظرة الأخيرة على نفسها في المرآة الصغيرة، فوجئت بأنها لا تزال جميلة جداً. هزت كتفيها بطريقة تدل على عدم الاكتراث والاهتمام بذلك، ثم نزلت الى قاعة المكتبة. أجلسها قرب النار، وقال لها بلهجة جادة وصارمة:

ـ لا أريدك ان تقتلي نفسك تعباً وارهاقاً، يا ثيا. ستأتي شابة صباح غد، للقيام بمعظم الأعمال المنزلية.

لم تتأثر باهتمامه الواضح والصادق بها، وقالت له:

ـ انا شابة في مقتبل العمر، وصحيحة الجسم، ولست بحاجة الى المساعدة.

ـ تبدين ضعيفة جداً وخائرة القوى.

ثم تنهد وقال:

ـ أريد التحدث اليك، يا ثيا، ولا أعرف كيف ومن أين ابدأ. لا أريد تحطيم كل شيء دفعة واحدة، عن طريق التعبير عن نفسي بأسلوب سيء.

ـ تريد التحدث الي عن الطلاق. الا يمكنك الانتظار حتى الصباح؟

ـ الطلاق؟

نظرت الى ملامح الاستغراب الشديد في وجهه، باستغراب مماثل. قالت له بعصبية:

ـ انه الحل المنطقي والانسب، اليس كذلك؟ كان زواجنا خطأ كبيراً، وليس امامنا بالتالي اي حل آخر. طلبت مني الحضور اليوم الى هنا لاجل جايمي، فلا داعي اذن للتشديد على هذا الأمر. لقد ادركت بالفعل...

قاطعها لوجان بصوت اجش، قائلا:

ـ لم يكن جايمي وحده هو السبب، ولكنه كان الشعلة التي اثارت لطريق... والتي اعادتني الى رشدي وصوابي.

ـ هل تحاول اقناعي، يا لوجان، بانك لا تسيطر دائماً على مشاعرك واحاسيسك... كما تفعل مع أي شيء آخر؟

ـ أتصور انني استحق هذا التأنيب.

- لسنا مضطرين ابداً لتحليل كل شاردة أو واردة في شخصية كل منا، يا لوجان.

امسك بذراعيها ورفعها بقوة عن المقعد، صارخاً بغضب عارم:

- كفى، كفى، يا ثيا! لا اريدك ان تتحدثي هكذا، او عن موضوع الطلاق!

- انت الذي بدأت!

ضغط على ذراعيها بضع لحظات، ثم اختفى السخط الشديد من عينيه وقال:

- حسناً، حسناً! اوه، ثيا اعترف لك بانني استحق كل تعذيب وتأنيب منك... على ما فعلته بك! اعترف لك بان التصرفات التي صدرت عني، بعد اكتشافي موضوع المال، شائنة وشنيعة وتتسم بالحماقة البالغة. لا يمكنني الدفاع عن نفسي او تبرير تصرفاتي معك اطلاقاً، ولا أنوي الاقدام على ذلك ابداً.

هز رأسه بحزن وأسى، ثم مضى الى القول:

- تعلمين ان زواجي الأول كان فاشلا، وتذكرين بالتأكيد ما قلته لك عن انني اتحمل القدر ذاته من المسؤولية مثل كاي. ومع انني حاولت دائماً التصرف معها بصدق واخلاص وامانة، الا ان كاي لم تعرف مطلقاً معنى هذه الكلمات. وعندما تبين لي انك خدعتني في بعض الأمور، ثارت ثائرتي ولم أعد أعرف كيف أتصرف أو افكر. اتصور ان كرامتي منعتني من التفكير بطريقة سليمة، على الأقل الى ان عدت من لندن.

- ولكنك تأخرت كثيراً.

- كنت في وضع محير، لا أحسد عليه. لم أنم معظم ساعات الليالي الماضية، مما جعلني أغرق في بحر من الظلمات. ماتت عمتي في الأسبوع الفائت، فأفقت من ذهولي وأدركت ان الحياة على هذه الأرض قصيرة جداً. ادركت أنني اتخلى عن كل شيء جيد، من حيث أدري أو لا أدري.

توقف لحظة، ثم مضى الى القول:

- تذكرين اجتماعي المطول في لندن، وحديثي عن أمور بالغة الاهمية. عندما بعت جميع ممتلكاتي في الخارج لاشتري دروملاريج، كانت لدي

بعض الاستثمارات التافهة التي لم تكن تستحق البيع. ولكن أعمال المناجم غريبة وعجيبة، ولا يمكن التكهن بمستقبلها. وعليه، حضر ثلاثة من رجال الاعمال البارزين لاطلاعي على الاكتشاف الهام الذي تم التوصل اليه في المنجم... وليعرضوا علي ثروة طائلة ثمناً له.

هل تصدقه؟ تنهد مرة أخرى، وتابع حديثه قائلا:

- ألم أقل لك آنذاك انني سأطلعك على أمرين هامين للغاية؟ كنت سأكشف لك عن الحب الكبير الذي بدأت اشعر به نحوك، وعن الثروة الهائلة التي اتتنا من السماء. وعندما اوقفك ذلك الرجل الحقير وبدأ يحدثك بتلك اللهجة، شعرت كأنني طعنت في الصميم. اعرف انه لم يكن من اللائق اطلاقاً التصرف معك على ذلك الشكل، او التحدث اليك بمثل تلك الطريقة. ولكنني اريدك ان تتفهمي وضعي آنذاك، فقد كنت شبه مجنون بسبب الغضب والغيرة.

استغربت ثيا انها لم تتأثر اطلاقاً بهذا الكلام كله، في حين انها كانت ستجن فرحاً وبهجة لو أنها سمعته قبل أسبوع أو أسبوعين. قالت له:

- آسفة، يا لوجان.

- آسفة؟ ولماذا تأسفين، يا ثيا؟

- لأن كل شيء قد انتهى بيننا، أليس كذلك؟

- انتهى؟ لا، لا أصدق بأنك تؤمنين بما تقولين! أنا أحبك، وأنت قلت لي انك تحبينني. أعرف انني ألحقت بك أذى بالغاً، وأنا آسف جداً لذلك. سأثبت لك مدى أسفي، ولو استغرق هذا الأمر طوال حياتي.

- لا، يا لوجان.

- بلى.

ضمها الى صدره بقوة، ولكنه لم يحاول تقبيلها. وضع خده على خدها، وقال:

- قولي الآن أنك ستغفرين لي تلك التصرفات، يا حبيبتي. لا تهمني أموالك وكيف تنوين انفاقها أو استخدامها، وليس لهذا الأمر أية علاقة بالثروة التي هبطت علي فجأة. كل ما أريده منك هو حبك لي، وسماحك لي أيضاً بأن أحبك بالقدر الذي أشعر به تجاهك.

أحست بارتجاف جسمه الملتصق بها، ولاحظت بشكل قاطع انخفاض وزنه. لا بد وانه تألم مثلها! تذكرت ليلة زواجهما... وتعذبت، ولكنها لن تتمكن من التظاهر بعاطفة لم تعد موجودة. قالت له:

- اتركني، يا لوجان، أرجوك. أنا آسفة، ولكنني لم أعد أحبك... ولم تعد هناك أية فائدة للتظاهر بذلك.

رفع رأسه بحدة، وكأنها صفعته على وجهه أو طعنته في قلبه. نظر اليها بدهشة واستغراب، وهو يسألها بانفعال وتأثر:

- لا يمكن انك تغيرت هكذا، بمثل هذه السرعة!

- بل تغيرت، يا لوجان.

- لا، لا! لن أصدق ذلك! أعرف انك تحبينني كثيراً، ولم تمثلي اي دور مسرحي معي ليلة الزفاف. لا يمكن لأحد الاستسلام بذلك الشكل التام، دون حب. كنت رائعة، يا حبيبتي. اردتك، تمنيتك، واشتقت اليك منذ تلك الليلة. كانت حياتي جحيماً، بعيداً عنك.

ابعدت نفسها عنه وهزت رأسها، قائلة:

- أرجو قتلت بقساوتك الحب الذي كنت اكنه لك من صميم قلبي، وعليك ان تفهم ذلك. لا أشعر نحوك الآن بأي شيء، يا لوجان.

- هل تسمحين لي بتقبيلك، للتأكد مما تقولين؟ أتصور انك لا تعرفين عما تتحدثين.

لن تضعف أو تجبن أمام تحديه، فلعله سيكتشف بنفسه انه يضيع وقته. قالت له بهدوء، وهي ترفع وجهها نحوه وكأنها تضحي بشيء عزيز على قلبها:

- تفضل!

اذهلتها رقة شفتيه، ولم تستغرب عودة النار الى قلبها وجسمها. وضع يديه على ظهرها وضغط عليه بأصابع فولاذية قوية، فأحست بانه يكاد يحطم عظامها. ارادت ان تصرخ من شدة الألم، الا انها لاحظت مدى ضبط النفس الذي يمارسه على نفسه. لم يقبلها بعنف وشهوة، ولم يحاول ان يظهر اكثر من تعلقه بها. وما ان ابتعد عنها قليلا، حتى قالت له:

- لا اريد منك شيئاً الا... حريتي.

- لكي تتمكني من العودة الى ذلك الوغد... جيري؟

- لا، لا أريد ابداً العودة الى جيري. لا أريد الا حريتي، لأعيش بالطريقة التي تعجبني. سأدخل الجامعة، يا لوجان. والى ان يحين موعد بدء العام الدراسي المقبل، سأعمل في فندق على الساحل الجنوبي. أبلغت الادارة بانني قد أتأخر بضعة أيام.

- هكذا إذن؟ يبدو انك لم تضيعي وقتك سدى.

- حاولت الاتصال بك، يا لوجان، وانت تعرف ذلك. اردت...

- اعرف، اعرف... وهذا دليل آخر على الرعونة والغباء من جانبي.

- أنا آسفة أيضاً، وادرك انني اتحمل قدراً مماثلا من المسؤولية. أنا لا أحاول القاء اللوم كله عليك يا لوجان. أنا حقاً آسفة، لأن الأمور تطورت على هذا النحو المزعج. سأمضي بعض الوقت، بالطبع، مع جايمي.

- لن ازعجك أو أضايقك، يا ثيا. يبدو انني عبقري جداً، في تحويل نعيم حياتي الى جحيم. تزوجت مرتين، فكرهتني كل منهما! ربما... ربما سأكون سعيد الحظ في المرة الثالثة!

أمضت الأيام القليلة التالية، وهي تحاول تجنب لوجان قدر الامكان. الا ان كلماته عن احتمال زواجه للمرة الثالثة، ظلت تقض مضجعها وتقلق راحتها وافكارها. وفيما عدا ذلك، كان كل شيء كما تركته. العمل المنزلي اليومي، كلمات مارثا الصريحة واللاذعة، ثرثرة جايمي البريئة والطيبة، وملاحظات دونكان الجافة. لم يتغير الا لوجان، فهو يعمل دون كلل... لا بل انه يرهق نفسه. تحسنت أوضاع البيت في دروملاريج الى درجة كبيرة، ولكنه لم يسمح لثروته المفاجئة بالتأثير سلباً على عمله الجاد. وعندما تحررت صباح أحد الأيام ولفتت انتباهه الى ذلك، قال لها:

- بدأت دروملاريج قبل فترة قصيرة بتأمين نفقات العمل والبيت، وسأثبت انها قادرة على ذلك دون الاستعانة بأموال تأتي من مصادر لا علاقة لها بها. قد أنفق يوماً المزيد من المال على البيت، اذا وجدت امرأة تريدني وتقبل بي. وعليه، فانني سأعيد استثمار أموال المنجم... لكي تكون كالقرش الأبيض لليوم الأسود.

حوّلت نظرها عنه نحو النافذة، فهز كتفيه ومضى الى القول:

ـ يذكرني هذا الكلام عن العمل المتواصل، بأنني مضطر للذهاب الآن.

توقف لحظة قبل وصوله الى الباب، وقال لها:

ـ اذا اتصلت ماري ستيوارت، فهل يمكنك تذكيرها بانني سأراها هذه الأمسية؟ أريد ان ابحث معها طريقة المعالجة الجديدة، التي تتبعها مع جايمي الا تعتقدين انها طريقة جيدة وناجحة؟

لم تتمكن ثيا من نفي هذا الأمر، فابنة الطبيب ماهرة جداً في عملها. كما ان علاقة حميمة بدأت تقوم بين ماري وجايمي. أحست ثيا بالغيرة... ولكن، هل يحق لها ان تحس بهذا الشعور؟ لم تعد من لندن... فأصبح جايمي بحاجة الى شخص آخر، وهكذا والده أيضاً على الارجح.

وصلت السيدة موراي فجأة الى دروملاريج، فأحست ثيا بسعادة وارتياح كبيرين لحضور تلك السيدة الطيبة. سألت لوجان عما تعرفه والدته عن الوضع القائم بينهما، فقال لها ان امه تعلم بوجود... خلافات بين ابنها وزوجته. احست بأنه يريد تطويقها بين ذراعيه وضمها الى صدره، ولكنه يشعر ان يديه مقيدتان.

لم تثر السيدة موراي موضوع العلاقة، الا بعد مرور بضعة أيام على وصولها. استهلت السيدة الهادئة الحديث الخاص، بالقول:

ـ ماذا يزعجك، يا ثيا؟

ـ آمل في الا يتأخر لوجان كثيراً، فالطقس سيء للغاية.

ـ اليس موجوداً الآن مع بعض الرجال؟

صمتت لحظة ثم سألتها:

ـ هل انت قلقة عليه، يا عزيزتي؟

كانت على وشك الرد نفياً، ولكن قلبها لم يطاوعها... فهي قلقة عليه في امور عدة. هزت رأسها ايجاباً، فقالت لها حماتها:

ـ ماذا يمنعك اذن عن الذهاب لايجاده، وابلاغه ذلك؟

ـ لا... لا اقدر على ذلك! لن اتمكن... انظري الى هاتين اليدين الباردتين، والى جسمي الذي تجمدت الدماء في عروقه! لا اشعر بشيء!

ـ فكري جيداً، يا ابنتي، فمعظم الاقفال تكون عادة ضعيفة وهشة.

ماذا ستفعل اذا اصيب بأذى؟ اذا قتل بحادث، في مثل هذا اليوم العصيب؟ صرخت بألم وهبت واقفة! يا لغبائها، اوه، يا لسخافتها ورعونتها! انها لا تزال تحبه... من صميم فؤادها! لا بأس اذا كان قد توقف عن حبها، بسبب تصرفها العنيد والاحمق معه، فستقول له انها تحبه... وتحبه كثيراً.

لم تنتظر حتى تأخذ معطفها الواقي من المطر، بل خرجت الى المطر لتبحث عن لوجان الذي يمتطي حصانه الأسود الكبير. شاهدته يعطي أوامره وتعليماته الى الرجال، فراحت تصرخ بلهفة:

ـ لوجان! لوجان!

استدار نحوها وانطلق بسرعة، ثم توقف فجأة ورفعها كريشة صغيرة عن الارض... ليضعها امامه ويحمي جسمها الضعيف الهزيل من المطر والريح.

ـ ثيا! ما بك؟ اخبريني!

ـ لا شيء، يا لوجان. اوه، كل شيء... كل شيء! شعرت بأنني مضطرة للمجيء إلى هنا، لأنني اكتشفت ان حبي لك لم يمت أو يخفّ اطلاقاً.

ـ شكراً لك، يا ثيا، يا فتاتي، لا تعرفين مدى العذاب الذي شعرت به طوال هذه الفترة! كنت أتمنى سماع هذه الكلمات من فمك، في أي وقت من الليل أو النهار. لم أتحمل التفكير باحتمال فقدانك، فبدأت أموت تدريجاً من الحزن والأسى.

ـ لا بد انني كنت ضحية صدمة عاطفية عنيفة.

ـ أعرف ذلك، ولكنني لم أكن أعرف مدى تحملي لهذا التأخير القاتل. لن تعرفي أبداً مدى العذاب الذي عانيته، يا حبيبتي، وأنا أمر أمام باب غرفتك ليلة بعد أخرى.

ـ أحبك، يا لوجان. اذا كنت لا تصدقني، فضع يدك على صدري لتشعر بخفقان قلبي. أرجوك... لا تدعني ابتعد عنك مرة أخرى!

ـ ابداً، ابداً.

ضمّها اليه بقوة... ومحبة، وكانت هي تبادله القبل المحمومة بالمثل.

وعندما اختلى وأياها بعد قليل في الأسطبل القريب من المنزل، عاد كل شيء الى سابق عهده. . . لا بل بشكل أقوى وأكثر جنوناً. قالت له:

ـ انت بحاجة الى حمام ساخن، وأنا أيضاً.

همس بضع كلمات في أذنها، فاحمر وجهها حياء وخجلا. . . وظل على حاله حتى ما بعد دخولها المطبخ ومواجهتها الوجهين الباسمين لمارثا والسيدة موراي. ستعترف له الآن بكل شيء، ولن تسمح لأي موضوع بتشكيل عقبة أخرى في وجه سعادتها الى الأبد. قالت له:

ـ لا بد لي من الاعتراف لك، يا لوجان بأنني كنت هنا قبل الآن.

تدخلت مارثا قائلة، والابتسامة العريضة تغطي وجهها:

ـ لقد ولدت هنا، اليس كذلك؟ عرفتك منذ وصولك الى دروملاريج.

ـ كنت تعرفين؟

ـ بمجرد دخولك عبر ذلك الباب! ولكنني لم اقل شيئاً، وتركت لك الخيار. . . فأنت صاحبة الحق في ذلك.

ثم نظرت الى السيدة موراي، التي كانت تنظر نحوها بذهول تام، وقالت:

ـ الا تذكرين تلك الشابة التي اتت الى هنا قبل عشرين عاماً، بعد مقتل زوجها وهما لا يزالان في شهر العسل؟ هذه هي الطفلة الصغيرة التي ولدت هنا. . . الفتاة الصغيرة التي كادت تحطم قلبك عندما قررت امها اخذها الى بيت جدها في لندن.

ـ حقاً؟ هل انت واثقة مما تقولين؟

هزت ثيا رأسها ايجاباً، فضمتها والدة لوجان الى صدرها وقبلتها بمحبة وحنان. . . قائلة:

ـ مارثا على حق. احببتك كثيراً، وأردتك ابنة لي. توسلت الى امك، لتسمح لي بتبنيك. الآن، بدأت أؤمن بالعجائب!

استمعت السيدة موراي الى شرح واف من ثيا، ثم عانقتها بحرارة قبل ان تمسح دموع الفرح من عينيها. استدارت نحو لوجان، فوجدته يبتسم. سألته بلهفة:

ـ هل تصدقني؟

ـ تعالي الى هنا، يا عصفورتي. سأصدقك اذا تمكنت من اقناعي، بانك لن تهربي مني مرة اخرى.

واقنعته. . . !

www.elromancia.com